طريق الحذاق
الى
روضة العشاق
للعبد الفقير الى ربه
احمد يحيى عبد الرحمن الاهدل
غفر الله له امين

حقوق الطبع محفوظة لدى المؤلف .
مودع لدى الهيئة العامة للكتاب
الجمهورية اليمنية صنعاء
رقم الإيداع : ١٥٢ لسنة ١٤٤٥هـ
بتاريخ : ١٤٤٥/١٠/٢٠هـ
الموافق: ٢٠٢٤/٤/٢٥م
الصف الالكتروني راجي عفو ربه:
محمد سالم قايد محمد الفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم

بشرى

بُشْرَاكُمو يا أيُّها العشَّاقُ

وافاكمو سِفْرٌ لَكُمْ يَشْتَاقُ

قد صِيغَ مِن أثرِ النبيِّ وآلِهِ

وصحابةٍ والقَومِ نِعْمَ رفاقُ!..

إذْ خَطَّهُ مُتَتَبِّعاً ومُجَمِّعاً

هَدْياً لأحمدَ "أحمدُ" التوَّاقُ...

الأهدليُّ الهاشميُّ سلالةً...

والعِلمُ في أَكنَافِهِمْ دَفَّاقُ...

وافى مناراً بالهِدَايَةِ غَامِراً

مَنْ رام وَصْلاً دأبُهُ الأشوَاقُ

يجْلِي طَرِيْقَاً مُوْضِحاً لِمَعَالِمٍ

كي يَقْتَفي خَطْواً لها الحُذَّاقُ

فَلْتَنْهَجُوا هَدْياً.. تُجَازَوا روضةً

برضا الكَرِيمِ ينالُهَا المشتَاقُ ...

وخِتَامُهُ أزكى الصَّلاةِ مع السَّلا

مِ على الَّذِي في حُبِّهِ التِرْيَاقُ

طه الشَّفِيْعِ حبِيبِنَا مَنَ قَلْبُهُ

قد فاضَ حُبَّاً مِلْؤهُ الإشفَاقُ

أ/غالب عبدالله غالب السَّلَمِي

زَبِيْد الغَرَّاء

٢٩/ شهر صفر الخير/١٤٤٦هـ

الموافق ٢/٩/٢٠٢٤م

إهداءٌ وترجمة عن زوجتي

الحمدلله رب العالمين العليم الحكيم الذي أتقن ما صنع وأحكم ومنَّ علينا بنعمة الإسلام والنعم، علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وأشكره على ما أولانا به من الهداية والكرم، و بالزوجة الصالحة الواعظة الصائمة بالنهار أياماً القائمة بالليل بصلاة أو ذكر الناصحة لزوجها وأبنائها وغيرهم من النساء ولا تخاف إلا الله فنعمت الزوجة والأم هي القائمة بالتربية الصالحة والمتابعة الحريصة على مجانبتنا أهل السوء والفسوق والتي كان لها الفضل الأول بعد الله عز وجل وكان لها الفضل لوصولنا الى ما وصلنا إليه من العلم والمعرفة وحسن الاخلاق ونعمت الأم هي لأبنائنا بدعمها بالتوجيه والدعاء لهم بالصلاح وصرف أهل السوء ورفقاء السوء عنهم حتى أصبحوا نعم الأبناء هم صلاحاً وتقوىً وبراً وطاعةً وأخلاقاً فكانوا قرة عينٍ لنا حفظهم الله ، فنعمت الزوجة ونعمت الأم هي !

فقد كانت محبوبةً ومألوفةً عند الكثير من النساء ومن الترجمةِ عنها فإنها كانت إذا حضرت مجلساً سكتوا توقيراً لها، وكانت لا تقبلُ أن يُغتَاب أحدٌ أمامها، ولا تسمحُ لإحداهن أن تغتاب أحداً أمامها، وكل من عرفها أو يسمع عنها يشهدُ لها بذلك .

وعند وفاتها رحمها الله تعالى حضر جمعٌ عظيمٌ من النساء لا يحصى من كثرة العدد، وعند السير بالجنازةِ للمقبرةِ حضر جمعٌ كثيرٌ من الرجال لم أرَ له مثيلاً ممن سمع عن صلاحها وورعها من أهلهم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صلاحها وتقواها وخوفها من الله تعالى ، ومحبة الناس لها بعد محبة الله لها، وأنا أشهد لها وأعلم فيها بذلك والله خير الشاهدين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس الاعلى في الجنة أمين .

وهذا كتابي أهدي حسناته لها ولوالديَّ وذريتي تبعاً عن تبع إلى آخرِهِم، وأسألُ الله أن يكتب لهم الأجر في سجل حسناتهم. وهذا قليلٌ من كثيرٌ في حقهما وحقها علينا.

هذا وأســـأل الله أن يغفر لهم ويرحمهم ويوســـع مدخلهم ويجعلهم في الفردوس الأعلى وأن يرحمنا إذا ســـرنا إلى ما ساروا إليه أمين

المقدمة

الحمدلله على ما أولانا من كثرة النعم ، وأشـــهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له صاحب العطاءِ والجودِ والكرم ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله إلى كافة الأمم نوراً ورحمـة للعـالمين فكنـا خِيرة الأمم ، والصـــلاة والســـلام على النبي الرســول الأكرمِ، ســيدنا محمد المبعوث بالحكم، وتعليم الأخلاق والإحسان والكرم، والهادي إلى طريق الحق للأمم، وعلى آله وأصـــحابه ومن تبعهم لهداية الأمم، رضي الله عنهم وجزاهم بإحسان النعم .

وبعد: أنا العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي رحمة ربه وعفوهُ ومغفرته من ذنوبي وسيئات عملي والنجاة من عذابه وغضبه والفوز بالجنة وحســـن الخاتمة والنظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة الســيد/ أحمد بن يحيى عبدالرحمن أحمد عمر إبراهيم بن محمد الخضـــير بن محمد الأهدل بن أحمد بن جريبان بن الشـــيخ محمد بن علي بن أبي بكر بن الشـــيخ الكبير علي الأهدل – الذي يرجع إليه كافة بني الأهدل – ابن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن

حِمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء البتول بنتِ إمام الأنبياء والمرسلين رسول ونبي رب العالمين صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .

أقولُ وبالله التوفيق عندما علمت أن جمال الإنسان هو جماله بالعلم والأدب والأخلاق وليس بالثوب والبدن وسوء الأخلاق، ورأيت ما نحن عليه اليوم من قساوة القلوب وغرور النفس الأمارة بالسوء والكبر والغفلة عن الله والجهل بتعاليم الدين والظلم والتهاون بالفروض والحقوق الواجبة وهجر صلة الأرحام، وعدم الفهم لأحكام الشريعة أو تجاهلها، وعدم سلوك الطريق الصحيح المؤدي لله الخالق سبحانه وتعالى الذي إليه يُرجعُ الأمر كله، وعدم إكتشاف حقيقة سبب وجوده على هذه الأرض، وتجاهله وتغافله عن السعي إلى العلم والمعرفة بربه لإنشغاله بالدنيا ولذاتها ومؤثراتها ونسيانه الدار الأخرة والموت والقبر وما بعده من حساب وعقاب، لذلك كله إستنهضتُ عزمي فيما أرجوه من الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى وعملت هذا الكتاب وجمعت فيه بعد تعبٍ

طويل – وليس بالأمر الهيّن – من علم الشـــريعة ، وســـلوك طريق الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى ، وكشف حقيقة اليقين لقولـه تعـالى { كلا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثم لترونّها عين اليقين } الآية ســورة التكاثر . لو علم الإنســان حق العلم بالله تعالى لما ألهاه تكاثر المال والولد وغيره من أمور هذه الدنيا الزائلة الفانية ... عن الدار الأخرة الباقية .

لأن كشف حقيقة اليقين بالإيمان هو ما وقر في القلب وصدّقه العملُ وعملت الجوارحِ بـأركـانـه ، ولا يمكن أن يزحزح هذا التحقق باليقين من قلبه أي أحدٍ بعد أن وقر فيه الإيمان ، لأن من ضـعف إيمانه ضـعف يقينه بما عند ربه وخالقه وما أعده الله تعـالى لعبـاده المؤمنين يوم القيـامـة وتجـاهـل عـذابـه وعقابه... ولأجل ذلك جعلت لكل منهما مقتطفات فهو لطالب الشريعة عوناً ولطالب الطريق إلى الله تعالى – المريد السالك – دليلاً، كي يكون طريقه إلى ربه تعالى سلوكاً صحيحاً حتى ينال المريد رضـا خالقه ونعيم جنته بسـلوكه الصـحيح ، وقد أوردتُ فيه من الفوائد المختلفة التي تميل لها القلوب وترتاح لها النفوس ما يكون مذاكرة لنفســـي ولأمثالي وســـميته ((طريق الحذاق إلى روضة العشاق)) .

وقد بذلت فيه جهداً كبيراً واســـتغرق وقتاً طويلاً وهو كتاب جليـل القـدر والمعـاني ، لا يعرف قـدره إلا من فهم معـانيـه وأركانه وقواعده وأساسه ومقاصده ، وهو دليلٌ لكل من يريد الوصــول إلى الجنة، ويقذف للطالب في قلبه ما يفتح الأنفاس والأذهان وفيه من كلامي وكلام العلماء والأدباء من المواعظ والفوائـد وعلم الشـــريعـة وعلم الحقيقـة والطريقـة وغيرهـا الكثير مسـتشــهداً بالآيات والأحاديث النبوية حسـب ما وفقني الله تعـالى إليـه ولكـل منهم عنـد الله تعـالى من علمـه المزيـد بحســـب علمه واجتهاده وما كان فيه من كلامي ففي بداية الفصــل أو في نصــفه من شــرحٍ على قول عالمٍ أو لآية فيأت ((أقول أو أعلم)) وإذا أضــفت على شــرح أو قول لأديب أو عالم في وســـط عبارته أو في آخرها لأجل زيادة التوضـــيح والفهم جعلت على الإضــافة (قوس) لكونه من كلامي وجعلت الكتاب فصولاً – لكل فصلٍ خاصيته – وهي:- المعرفة بالله، ومعالجة النفس، وتطهير القلب وعلاقة المحبة لله، والطمع بمـا في أيـدي الخلق، وحقيقـة الإســـلام، وحقيقـة الإيمـان، وحقيقة الإحســان، والرياء، والعلم النافع ونتائجه، والحب في الله والبغض في الله، والظلم والتهـاون بـالفرائض والحقوق،

والعزلة والمجاهدة، والذكر وفضـــائله، حرص الصـــحابة، والصـبر وصـفة الجنة، وفضـل النبي صـلى الله عليه وسـلم وأهل بيتـه، وصـــفات النبي صـــلوات الله عليـه وعلى آلـه وصـحبه، وتلا هذا الفصـول تقاريضٌ على الكتاب ، سـبق كل ذلك الإهداء والمقدمة وأختتمه فهرست الكتاب .

فما عملته وكان فيه كمال فمن الله تعالى وما كان فيه من نقصان فمن نفسي والشيطان والكمال لله تعالى وأنا لست من أهل هذا الميدان ولكن إقتداءً بقوله صـــلى الله عليه وســـلم (إذا رأيت شـــحاً مطاعاً وهواً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه فعليك بأمر خويصـــة نفســـك ودع عنك أمر العامة) وقوله صـــلى الله عليه وســـلم (لتأمرنَّ بالمعروف أو لتنـهونَّ عن المنكر ... إلخ.) الحديث وأنا لســـت من أهل هذا الميدان ورواده ولكن شبهت قولي بقول القائل:-

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبُّه بالكرام فلاح

هذا وأسـأل الله العلي القدير أن ينفعنا وأولادنا والمسـلمين به وأن يجعل ما عملته خالصاً لوجهه الكريم وأن يكتبه في سجل حســـناتنا وأن يغفر لنا ولمشـــايخنا ، ولوالدينا ولزوجاتنا

وأولادنا وذرياتهم تبعاً عن تبع إلى آخر ذرياتهم ولمَن علَّمَنا وعلَّمْناه ولِمَن له حقٌ علينا ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه سميعٌ قريب مجيب الدعوات وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وكلِ من سار على نهجهم آمين .

وأخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

ترجمة المؤلف

انشغاله بالتدريس :-

بنوا الأهـدل هم وعـاء من أوعيــة العلم في اليمن وهم مشهورون بالفضل والصلاح وكثرة العلم وقد جمعوا بين العلم والنســـب وهم قوم قـد فتح الله عليهم في العلم وليس لهم إشـتغال الا بالعلم والشـيخ/ أحمد يحيى عبدالرحمن الأهدل له مشـايخ كثر تعلم عليهم ومنهم عمدته وانتسـابه إليهم وأجازه مشـايخه وإني أحتسبه إن شـاء الله واحد من أولئك الذين قدر الله لهم تحصيل العلوم وتوصيلها وقد أوصلها عن طريق كتبه المؤلفـة ومنهـا هذا الكتـاب وغيره من الكتـب الأخرى ككتـاب الإســـناد الذي جعله هدية ودرة ثمينة لكل طالب علم لمعرفة السـند ومعنى الإسـناد بالرواية في صـحة الحديث وفي صـحة جواز الإجازة من أهل العلم والدراية عند أهل الحديث بتواتر الرواية بالرواية واحد عن واحد أو جماعة عن جماعة كسند صــحيح البخاري وصــحيح مســلم وغيرها من كتب الحديث وسـند الإجازة في المقروءة أو المسـموعة في الحديث والفقه وأصـــولـه والتوحيـد والعربيـة وآلاتهـا وغيرهـا من العلوم

المعترف بها عند أهل الحديث ولأجل ذلك تصـــدر للتدريس وبذل حياته بالتعليم عشـرون سـنة لتلامذته في معهد المقري بزبيد مع شـــيخه/ محمد يحيى الجملة التابع للمعاهد العلمية من عام ١٤١٣هـــــ الموافق١٩٩١م ، وكان جلُ اهتمامه وانشـــغاله بتعليم تلامذته في مجال الفقه والتوحيد والحديث والسـيرة النبوية، وغرْسـها في نفوسـهم حتى أصـبح منهم قاضـياً ودكتوراً محاضـراً في الجامعة وكان محبوباً ومألوفاً عند تلامذته ومجتمعه ومشـايخه وواعضـاً وناصـحاً ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب التربية والتعليم بزبيد المحروســة موجهاً، ثم تقاعد من مكتب التربية وأصــبح خطيباً في أحد المســاجد بقريتـه بـالتربيـة شـــرق زبيد المحروســـة، ولا يزال هكذا ولـه مؤلفـات عدة ســـأذكرها في مكـانـها، ولـه من الأوراد والأذكار التي نال منها الرؤيا الصالحة والخير الكثير وأخبرني بعدم ذكرها إلا بعد وفاته.

اسمة ونسبة ولقبه:-

هو الســـيد/ أحمد يحيى عبدالرحمن بن أحمد بن عمر بن إبراهيم بن محمد الخضـــير بن محمد الأهدل بن أحمد بن جريبان بن الشـــيخ محمد بن علي بن أبي بكر ابن الشـــيخ

(الكبير علي الأهدل) ابن عمر بن محمد بن سـليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصـادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسـين بن علي كرم وجهه وابن فاطمة الزهراء البتول سـيدة نسـاء العالمين بنت خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول رب العالمين سيدنا / محمد صلى الله عليه وسلم .

ميلاده وتأريخه :-

ولد في مدينة التريبة شـرق زبيد المحروسـة عام ١٣٨٤هـ الموافق ١٩٦٢م .

وذكر العلامة/ إسماعيل محمد الوشلي المتوفي سنة ١٣٥٦هـ في كتابه نشـر الثناء الحسـن على بعض أرباب الفضـل والكمال،ج١ص١٢٥ وما بعدها ان جميع بني الأهدل ينتسبون إلى السيد العلامة الشيخ الكبير/ علي الأهدل، وقد وضـع الله البركة في أولاده، فانتشـروا في آفاق الأرض حتى قيل أنهم صـاروا تحت كل نجم وبأسـماء متعددة . ولو لا تلك الجهود العظيمة في حفظ أنساب ذلك البيت وحصر بطونه والتسميات المتفرعة عنه لجهلوا ذلك يل لأنكر بعضهم بعضاً لا سيما مع

غلبة التواضع عليهم الدافع لبعضهم إلى الانتساب وبعضهم إلى المشيخة دون الشرف للانتساب فكان تواضعاً منهم لنيل الشرفين شرف المشيخة بالعلم وشرف النسب ١ هـ وذكر شيخي ووالدي/ العلامة محمد عبدالجليل الغزي في كتابه عطية المجيد وحشوة المزيد لتراجم أعيان القرن الرابع عشر من علماء اليمن – زبيد. ج١ص مخطوطاً في أربعة أجزاء. نقلاً عن العلامة/ إسماعيل محمد الوشلي في كتابه. نبذه مختصره :- في لقب الأهدل . فقال رحمه الله لقب الأهدل. هو: لقب تشريف وتفخيم وتنويه وتكريم، وأول من لقب به/ الشيخ الكبير علي الأهدل ابن عمر بن محمد بن سليمان ويصل نسبه إلى الحسين ابن علي كرم الله وجهه. وأنساب بني الأهدل محفوظة ومشهورة وقد اختلف في معناه .

فقال بعض العارفين معناه الأدنى والأقرب هَدل الغصن إذا دنا وقرب ولان بثمرته. وقال بعضهم أصل كلمة الأهدل: (على الاله دل) فهي كلمتان فصارتا لكثرة الاستعمال كلمة واحدة، كأنه كان يقال (عليَّ على الإله دلَّ) فاستثقلت الكلمة الثانية وأدرج بعضها في بعض لخفة النطق فقال علي الأهدل كما قيل في النسب الى عبد شمس عبشمي والى عبد الدار عبدري

أنظر نشــر الثناء الحســن على بعض أرباب الفضــل والكمال للوشلي . ج١ص١٢٧ـــــ وأما نسب بنو٦٧البطاح هو فرع من بيت بني الأهدل ونسـبهم الى السيد عمر الخبيتي وهم مشـهورون في علم الحديث وصــحيح البخاري يروى عنهم بســند خاص بهم أنظر نشر الثناء الحسن. ج١صــــ وينتهي الى الامام ابن حجر العســقلاني الأصــل مصــري المولد والمنشــأ انظر في ترجمة شــذران الذهب في أخبار من ذهب للمؤرخ ابن الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ

تربيته وتعليمه في القرآن :-

تربى في أحضــان والديه وحرصــا على تعليمه القرآن الكريم وبذل والداه له جهداً كبيراً ووفرا له خمســة فقهاء في تعليمه منهم الفقيه احمد حمود الهتار والفقيه صـــالح ابراهيم أحمد كبه والفقيه يحيى خيشــــني رحمهم الله تعالى. وقاموا بتعليمه وبذلوا معه جهداً كبيراً وخصوصاً في الهجاء حتى تعلم قراءة القرآن وحفظه في ثلاثة أشــــهر. وبعد ختمه قام أحد الفقهاء بتصــفيته للقرآن من أوله إلى آخرة من بعد صــلاة الفجر إلى شــروق الشــمس حتى تم تصــفيته وختمه في شــهرين وبعد الانتهـاء من تعليم القرآن انتقـل إلى المعلامـة لتعليم الكتـابـة

تحت الشجر ثم اصبحت المعلامة مدرسه تحت إشراف شيخه العلامة/ عبدالسلام حمود المحنبي الهتاري والأستاذ محمد الجدي تعلم فيها القراءة والكتابة حتى تخرج عام ١٩٧٤م ثم انتقل إلى السعودية واكمل فيها تعليمه على مشايخ وعلماء من اليمن والسعودية وحضرموت وغيرهم .

مشايخه وما قرأه عليهم وسمعه منهم :-

١- العلامة / السيد عمر اسماعيل البطاح الأهدل قرأ عليه صحيح البخاري وسمع منه ومن غيره عليه. وأجازه في باقيه وفتح الوهاب والقواعد الفقهية وأصول الفقه في الورقات والباجورى ومصطلح الحديث وتفسير ابن كثير الجزء الأول وأجازه في باقيه والرحيبة في الفرائض وبلوغ المرام مع مراجعة شرحه سبل السلام وفضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للعلامة فضل الله الجيلاني وإجازة في باقيه والمنهاج للنووي مع شرحه السراج الوهاج وعقيدة العوام في التوحيد وهو شيخه وعمدته وانتسابه إليه.

٢- العلامة / محمد أحمد شعيب الأهدل المروعي قرأ عليه خطبة المنهاج للأمام النووي وكفاية الأخيار للشيخ ابي بكر الدمشقي الشافعي ومختصر الكفراوي لشيخنا مفتي المراوعة وسند الثقب الأهدلى ولبس الخرقة والتلقيم والصلاة على سيدى سادات للنبهاني واجازه .

٣- العلامة / عبدالله سعيد عبادي اللحجي الحضرمي وقرأ في مؤلفه كتاب إيضـــاح القواعد الفقهية واجازه إجازة عامة كما هو في ثبت شيخه المرقاة إلى الرواية والرواة.
٤- العلامة المحقق/ حمود محمد اســـماعيل المحنبي الهتاري قرأ عليه ســـفينة النجا وابي شـــجاع والبعض من شـــرح القاسمي واجازه في باقيه وكتاب العقالة في البيوع وراتب السمان مع شرحه للشيخ محمد الطيب الناشري واجازه عليه.
٥- العلامة الحبيب/ أحمد مشـــهور طه الحداد قرأ عليه التبيان في علوم القرآن الجزء الأول واجازه في باقيه ومختصـــر بن كثير الجزء الأول لصـــابوني واجازه في باقيه وكتابه المؤلف له مفتاح الجنة، وأجازه إجازة عامة.
٦- العلامة الحبيب/ عبدالقادر الســـقاف ســـمع من غيره عليه في كتاب ظهور الحقائق للحبيب/عبدالله بن علوي العطاس ســـماعاً منه ومن غيره عليه وأجازه إجازة عامة طلبها له الحبيب أحمد مشهور الحداد.
٧- العلامة / محمد علي إسـماعيل البطاح الأهدل قرأ عليه من تفسير الجلالين للمحلى والسيوطي المقدمة وسورة النساء مع مراجعة حاشـية الصـاوي على شـرح الجلالين لما فيها من الأحكام وســفينة النجا وعقيدة العوام وأبي شــجاع مع مراجعة شـــرح القاســـمي ومقدمة المنهاج إلى الصـــوم للنووي وآجـازه في بـاقيـه وكـان ذلـك في أوقـات مختلفـة وأجازه في مقروآته.

٨- العلامة مفتي زبيد السيد / أحمد داود محمد البطاح الأهدل الزبيدي قرأ عليه مقدمة المنهاج إلى الحج ومن تفسير الجلالين سورة النساء مع سورة النور مع مراجعة حاشية الصاوي في السورتين لما فيها من أحكام الفرائض وغيرها وأحكام الأسرة وما يترتب عليها من الحقوق وترك المنهيات وسفينة النجا وعقيدة العوام في التوحيد وكان ذلك في أوقات مختلفة وأجازه في مقروآته.

٩- العلامة/ عبدالسلام حمود محمد إسماعيل المحنبي الهتاري قرأ عليه في ما بقي النصف وأكثر من المنهاج للنووي مع السراج الوهاج شرح المنهاج وقرأ من تفسير الجلالين سورة الحجرات مع مراجعة حاشية الصاوي على شرح الجلالين لما فيها من أحكام تربية الأسرة على المنهج القويم ونور الظلام شرح عقيدة العوام وكتاب بافضل في الفقه والقاسمي شرح أبي شجاع مع مراجعة بعض المسائل من حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي والاجرومية وكان ذلك في اوقات مختلفة وأجازه في مقروآته.

١٠- العلامة/ محمد حمود محمد اسماعيل المحنبي الهتاري. قرأ عليه تفسير الجلالين سورة النور مع مراجعة حاشية الصاوي في سورة النور لما فيها من أحكام الحدود وتربية الأسرة على قمة الأخلاق وبُعدها عن الرذائل وعقيدة العوام مع شرحها نور الظلام وسفينة النجا وبافضل وابي الشجاع مع شرحه القاسمي ومع مراجعة حاشية الباجوري الجزء الأول وأجازه في باقيه والمنهاج للنووي مع شرحه

السراج الوهاج والأجرومية مع شرحها دحلان وأجازه في مقروآته . وجميع هؤلاء الأربعة٧و٨ و٩ و١٠ كتبوها له بأيديهم رحمهم الله تعالى . وهي عنده موجودة.

١١- العلامة المحدث السيد/ عبدالله عوض محمد مهدي، قرأ عليه صحيح البخاري وصحيح مسلم في مجالس متعدده وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه والنسائي قرأ عليه في الثلاثة لكل منهما النصف وسماعاً في باقيهم منه ومن غيره عليه وسنن ابي داود وغيره.

قرأ عليه بعضه وسماعاً منه ومن غيره عليه وأجازه في باقيه وقرأ عليه في أصول الفقه الورقات وقواعد الفقه وغيرها من كتب الحديث وقرأ عليه فتح الباري شرح صحيح البخاري وصحيح مسلم في كل منها النصف وأجازه في باقي كل منهما مؤلفاته :-

١- مصباح النجا شرح على سفينة النجا تم طبعه بعد إشراف العلماء والدعوة والإرشاد بالرياض السعودية وهو أول كتاب له وتم طبعه في السعودية .

٢- الكلمات الحسان في وضائف شهر رمضان وفضل تلاوة القرآن وتم طبعه في السعودية

٣- طريق الحذاق إلى روضة العشاق (الجنة) لم يطبع .

٤- الإسناد بما لي من الإجازة بالرواية والإسناد .

٥- نواقض الإيمان. لم يطبع .

٦- وهناك كتب أخرى قليلة له لم يتم استكمال كتابتها بعد.

الأسانيد المتحصل عليها من مشايخه بالرواية :-

١- رواية سند صحيح البخاري بطرق متعددة عن شيخه / أحمد داود البطاح. وكذلك عن شيخه المتساوي معه بالسند الشيخ/ محمد علي البطاح الأهدل، لكون السند المتصل إليهما من شيخهما الشيخ / أحمد داود البطاح الأهدل .
٢- السند العالي لصحيح البخاري عن شيخه / محمد أحمد شعيب الأهدل المروعي مع سند الثقب الأهدلي وسند التلقيم وسند الخرقة.
٣- أسانيد الأمهات الست، صحيح البخاري ومسلم، وسنن الترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وأبي داود رحمهم الله تعالى عن شيخه / عبدالله سعيد عبادي اللحجي الحضرمي المكي.
٤- سند صحيح البخاري عن شيخه وعمدته في الرواية وتعليمه وانتسابه إليه السيد / عمر اسماعيل البطاح الأهدل.
٥- اكتفى بهذه الأسانيد وعدم الاطالة فيها بسبب الأثابيت الموجودة لديه.

((الإسناد بما لي من الإجازة بالرواية والإسناد)) ولهم أسانيد معلومة الاتصال إلى معلم الشريعة صلى الله عليه وسلم هذا ما تم كتابته بعون الله ورحمته، وآخر دعوانا أن " الحمد لله رب العالمين "

الأثابيت المتحصل عليها بالإجازة :-

١- ثبت المرقاة الى الرواية والرواة . لشيخه / عبدالله سعيد عبادي اللحجي المكي .
٢- ثبت اتحاف المستفيد بغرر الأسانيد لشيخه بالإجازة / محمد ياسين الفاداني المكي .

٣- ثبت بالإسناد بما لي من الإجازة والإسناد . لشيخه / محمد أحمد شعيب الأهدل المروعي.
٤- ثبت كراسة الأسانيد . لشيخه السيد / محمد على إسماعيل البطاح الأهدل . أبن أخو شيخه وعمدته السيد / عمر إسماعيل البطاح الأهدل .
٥- ترجمة شيخه العلامة / أحمد داود محمد البطاح الأهدل
٦- ثبت أريج القلم في الأسانيد للوشلي تحصل عليها ممن أجازهم / الشيخ فضل فص عافاه الله تعالى .
٧- وهناك له مشايخ كثيرون لم يذكرهم لعدم معرفة مشايخهم ولم يكن اتصال أسانيدهم معروفةً ولديه منهم إجازة عامة ومنهم من ذكرهم في ثبته المسمى

((الإسناد بما لي من الإجازة بالرواية والإسناد)) ولهم أسانيد معلومة الاتصال إلى معلم الشريعة صلى الله عليه وسلم { هذا ما تم كتابته بعون الله ورحمته }
وآخر دعوانا أن " الحمد لله رب العالمين "

كتبه فقير ربه المحقق الشيخ
العلامة/ أحمد محمد عبدالجليل الغزي

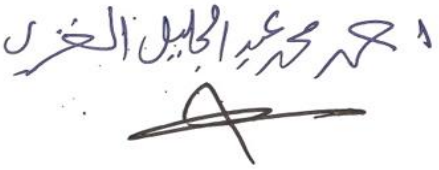

المعرفة بالله عز وجل

قال تعالى : { فأعلم أنه لا إله إلا الله } إن المعرفة بالله جل جلاله واجبة على الإنسان أن يتعرف إلى صنع الله في الكون في كل ما خلقه الله حتى يرى حقيقة الصانع لهذا الكون في كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى بتفكيره وتأمُّله حتى يعلم بمعرفته ويرى بعينه وعين البصيرة ما خلقه الله سبحانه وتعالى وأوجده فإذا عرف ذلك ورأى بعينيه حينها تصدر المعرفة إلى العقل للتفكّر والتأمّل والتدبّر قال تعالى: { إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب} ...إلخ الآية، وقال تعالى: { الله نور السموات والأرض} الآية... فالمعرفة بالله هي نور يقذفه الله تعالى في قلب مَن أحبه مِن عباده وإذا تحققت فيه هذه المعرفة بالله وشاهد الحق بعين بصيرته بحقيقة ما وقر في قلبه من المعرفة إيماناً به وصدّقَهُ عمل الجوارحِ بعلم اليقين بأن الله خالق كل هذه المخلوقات وخالق الكون والإنسان العالم ما يخفي وما يعلن وأن الله مطلع على كل شيء ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم فقد عرف

الله سبحانه وتعالى ومن عرف الله تعالى لا يمكن أن يعصيه لأنه أصبح يرى ما دون الله تعالى أصغر من خردلةٍ ولن يختار غيره حبيباً، ولم ينظر إلى الدنيا وزينتها مغتراً بكل ما فيها من متاعٍ و... متيقناً أن كل شيء فانِيٌ سواه تقدست ذاته، لأن المعرفة بالله سبحانه وتعالى نور أسكنه الله تعالى في قلب من أحبه واختاره مِن عباده ولا شيء أجل وأعظم من ذلك النور، فمَن عرف الله تعالى وذاق محبته جعله أمام بصره في جميع تحركاته، ولم ينظر إلى شيء سواه لأن نور قلب العارف بالله تعالى أشد ضوءاً من شمس النهار لأنه موضع نظر الله وموطن سره لقوله تعالى: { يهدي الله لنوره من يشاء } الآية . ومن عرف الله سبحانه وتعالى لم يعصِهِ والعارف بالله تعالى تتملكه محبة الله ويشغله علم الله تعالى ورضاه عن جميع الأسباب ، ولو نظر إليه الخلق استجهلوه لأن العارف بالله فانيٌ تحت اطلاع الحق تبارك وتعالى عليه، ولمعرفته بإطلاع الحق عليه، وأنه باقيٌ على بساطه يتحرك عليه، وأنك تراه والهاً على بابه هائماً منشغِفاً بحبه وبره ولا يقف لسانه عن ذكره، ولا يقرب مكان نهيه، بل تجده مشغولاً بحبه وذكره عمن سواه، هذا هو العارف بالله حقاً. وذكر

صـــاحب كتاب أهل الحقيقة مع الله قال: قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: (لا يعرف الله حق معرفته من التفت منه إلى غيره)، وسُـئل محمد بن واســع : هل عرفت ربك ؟ فســكت ســاعة ثم قال: من عرف الله قل كلامه ودام تحيره متقرباً في جميع أحواله إلى الله، وقال ذو النون المصــري: (إن المعرفة على ثلاثة أوجه :- أولها معرفة التوحيد وهي لعامة المؤمنين ، والثاني معرفة الحجة والبيان وهي للعلماء والبلغاء والحكماء ، والثالث معرفة صــفات الفردانية وهي لأهل ولاية الله تعالى وأصــفيائه الذين أظهر الله لهم – أي بمعرفته لهم – ما لم يظُهره لغيرهم وأعطاهم من الكرامات ما لم يجز أن توصــف وأختصــهم الله لــه من بين الخلائق وأصطفاهم لنفسه وأختارهم له فحياتهم رحمة ومماتهم غبطة وإن العارفون ما وصلوا إلى هذه الدرجة إلا لمعرفتهم بإطلاع الحق عليهم في جميع أحوالهم فتركوا الدنيا وما فيها وطهّروا قلوبهم ولم يلتفتوا إلى ســواه بل صــرفوا أنفســهم وأحوالهم فوصــلوا إلى ما وصــلوا إليه بالعلم والمعرفة بخالقهم : { رضـي الله عنهم ورضـوا عنه ذلك لمن خشـي ربه } الآية ، فمن كانت هذه صــفاتهم كانوا حقاً ممن طلّقوا الدنيا حقيقةً

وخافوا فتنها ولذاتها وشـهواتها فتركوها وصـرفوا أنفسـهم وحياتهم وأحوالهم إلى خالقها وباريها عمن سـواه ، فطوبى لهم !

وإن أعظم ما أثنى الله تعالى به على المتقين قوله تعالى: { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } الآية، وإن أسعد العزائم وأربح الغنائم هي التزام تقوى الله التي أوصى الله بها الأولين والآخرين فتنافس فيها أولو العزم من الأنبياء والصديقين وسائر الأولياء المتقين . فأين نحن من هؤلاء ؟!

وعندما سمع هؤلاء خطاب الله لهم جل جلاله: { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } الآية، عملوا بما أمرهم خالقهم سبحانه وتعالى واجتنبوا ما نهاهم عنه فنالوا من نور الله على قلوبهم التي هي موضع نظر الله عليهم – كلٌ منهم على قدر ما كان له من الخشية والتقوى والعمل الصالح الذي يقربهم إلى خالقهم – يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (إن لربكم في أيام دهركم لنفحات) ...إلخ الحديث رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسلمة . فالإنسان على قدر إتصاله بربه وتقربه منه يحصل له من هذه النفحات على قدر يقظة قلبه

وحضـــوره مع خـالقـه وهو الله ســـبحـانـه وتعـالى المعطي الوهاب)) أهـ

وأعلم أنه لا تحصـــل التقوى من العبد بالورع وتحري الحلال إلا بالقناعة والتقلُّل من الدنيا وشـــهواتها ولذاتها يقول عليه الصــلاة والســلام (إن الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مشــتبهات ...) رواه البخاري عن عبدالله النعمان بن بشــير رضي الله عنه.

والحاصـــل أن الورع والزهد تتفجر بهما ينابيع الحكمة من قلوب المتقين لأن الورع والزهد هو رفض الدنيا وشـــهواتها المؤثرة بما فيها من اللذات والشـــهوات ... واتخاذ الدنيا مزرعةً للأخرة يتقوى بأثمارها على الطاعات بالنية الخالصة مقتنعاً فيها بلقيماتٍ يقمن بها صلبه في طاعة الله كما قال ابن رسلان:-

لكن إذا نوى بأكله التقوّي

لطاعة الله له ما قد نوى

ومعنى الورع والزهد هو خروج حب الدنيا من القلب وإســتصــغار كل ما حقّره الله من زينة الحياة الدنيا ومتاعها والابتعاد عن كل ما نهى عنه الشرع ومنها :- الكبر، واحتقار

الضعفاء، والإعجاب بالنفس، والتمتع بشهوات الدنيا ولذاتها بلا مبالاة كما قال بعض الأفاضل في كتاب رياض الصالحين:-

إن لله رجالاً فُطَنا

طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا

أنها ليست لحيٍ وطنا

جعلوها لجةً واتخذوا

صالح الأعمال فيها سُفُنَا

فالدنيا حقيقةً ليست بدار قرارٍ حتى تركنَ إليها – أيها الحبيب – فهي زائلة في يوم من الأيام والراكن إليها جاهل مغرور فيجب التجرد لطاعة الله والفرار من الفتنة الدنيوية المفضية إلى الوقوع في الشبهات ولذة الشهوات.

فإذا علم العبد هذا كله، تمكن من قلبه بالعمل والمثابرة على العمل الصالح للدار الباقية التي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأقبل على الله بالتجرد من هذه الحياة الفانية خائفاً على نفسه من الموت أن يأخذه بغتة وهو صفر اليدين ولم يكن قد جمع منها إلا الخسارة في الدنيا والأخرة وذلك هو الخسران المبين.

وذكر صـــاحب كتاب الحقيقة مع الله أن أهل المعرفة بالله هم مِن الدنيا وما فيها مستوحشون وإلى الآخرة مشتاقون .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما:- كيف يسمى عاقلاً من يمســـي ويصـــبح في الدنيا في مباهاة أهلها في المطاعم والمشـــارب والملابس أولئـك هم الخـاســـرون أولئـك هم الغافلون.أهـ.

ومن كتاب "جامع الأصـول" ذكر صـاحب الحكم لإبن عباد أن من أذهب الله عنه الزيادة في الدنيا من المال أو الجاه أو غيره ورضـــي وإقتنع بما يســره الله له ولم يجعل نفســه تتطلع إلى زيادة فهو كامل العقل لأنه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن لإقتناعه ورضـــاه بما يســـر الله له، ومن تطلع إلى زيادة ولم يرضَ ولم يقنع بما يسـر الله له وحصـل له الزيادة فإنه يفرح بها ولكن ســـرعان ما يحزن على ذهابها عنه لأنه أدخل في نفســـه مفســـدة وجود الحزن بزوال الزيادة عنه ســـواءً قليلاً فقليـل أو كثيراً فكثير. وقيـل أوحى الله إلى الـدنيـا تضـــيقي وتشددي على أوليائي حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي على أعدائي حتى ينشغلوا بك عني فلا يتفرغوا لذكري .أهـ .

ومن شـــرح الحكم لابن عباد:- وســـئل علي بن أبي طالب – رضـــي الله عنه – عن الخير؟ فقال: (ليس الخير بكُثرة مـالِك ولكن الخير بكثرة عملك وعظيم حلمك وأن لا تبـاهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الـدنيـا إلا لرجلين، رجـل أذنـب ذنوبـاً فهو يتداركها بـالتوبـة، ورجـل يســـارع في الخيرات فهو إليها أسرع). وقال بعض الأفاضل :-

وما من كاتب إلا سيمضي

ويُبقى الدهر بما كتبت يداه

فلا تكتب بقلمك سوى

ما يسرك يوم القيامة أن تراه

اعلم أيها الحبيب أنه لا خير في حياة بلا عمل ولا طاعة بل الخيرُ المسارعة في فعل الخير والبر والطاعة والعبادة ، دخل عثمان يوماً على بن مســعود رضـــي الله عنهما في مرضـــه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، فقال: ما تشتهي؟ فقال: رحمة ربي قال: ألا ندعوا لك طبيباً، قال: الطبيب أمرضـني، قال: ألا نأمر لك بشـــيء، قال: فما منعتني قبل اليوم فلا حاجة لي فيه اليوم، قال: ندعه لعيالك، قال: إني علمتهم شـيئاً إذا راعوه لم

يفتقروا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من قرأ في كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً) روى الحديث البيهقي عن ابن مسعود. وأن العبد إذا كان لا يستطيع على قيام الزهد والورع فعليه أن يزاحم العلماء بركبتيه ولا يجادلهم فيمقتوه وأن يأخذ من الدنيا ما يكفيه ليومه وليلته، وإن بقي مما عنده فضولاً فعليه أن يكسبه لآخرته وهو أن يتصدق به ولا يرفض الدنيا كل الرفض حتى لا يكون عالة على الآخرين، وأن يصوم صوماً يكسر شهوته ولا يصوم صوماً يضر بصحته وصلاته لأن الصلاة أفضل من الصوم وأن يكون كالأب لليتيم، وكالزوج للأرملة كما جاء في كتب الحديث راجع البخاري ومسلم عمّا للساعي على اليتيم والأرملة من الأجر والفضل الجزيل ...إلخ، ولا يجالس السفيه ولا ذوي الوجهين فيغويه.

قال بعض الأفاضل رحمه الله تعالى:-

من يدعي حب النبي ولم يفده

من هدية فسفاهة وهراءُ

فالحب أول فرضه وشروطه

إن كان صدقاً طاعة ووفاءُ

ومن أراد أن يكون من المؤمنين المقربين إلى الله عز وجل حقاً فعليه بإقامة آوامر الله عز وجل واجتناب كل ما نهاه الله عنه بقدر الإستطاعة قال تعالى: { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} الآية، وعلى المؤمن حقاً أن يتسامح مع الناس فإن فيهم من الطيبة أكثر مما فيهم من الشر، وأن يتذكر بأننا بشر ولسنا ملائكة، ومن صفات البشر الخطأ ولا يعاقب الناس بالإنتقام بل يعاقبهم بالتسامح والنسيان ولا يتصور أن العناد من لوازم الكرامة فإن الرجل الكريم هو الذي يتراجع دائماً عن الخطأ إن وقع فيه ولا تجعل الكراهية في قلبك تحطم أعصابك وعليك أن تغسل قلبك كل يوم بالعفو والنسيان كي تحطم خصومك وحاول أن تبدأ صفحة بيضاء مع الله ثم مع الناس حتى تنال بذلك درجة المتقين الصالحين العافين عن الناس والله يحب المحسنين . ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في أحد كتبه فقال حكي أن ذا النون المصري رحمه الله كان ماراً ببعض الناس ذات يوم وهم يبكون وفيهم شاب يضحك فقال له مالك يا فتى فقام وقال :-

كلهم يعبدون من خوف نار

ويرون النجاة حظاً جليلاً

أو يسكنون الجنان فيضحوا

في رياض عيونها سلسبيلاً

ليس في الخلد والجنان هوائي

أنا لا أبتغي بحبي بديلاً

اعلم أيها الحبيب المعنى أن مقصـــود الشـــاب أنه لا يعبد الله لأجل النجاة من النار أو طامعاً في جنته إنما يعبده لأجل النظر إلى وجهه جل جلاله فإين نحن من ذلك . ورحم الله من قال :-

يا جامع المال في الدنيا لوارثه

هل أنت بالمال قبل الموت منتفع

قدّم لنفسك قبل الموت في مهل

فإن حظك بعد الموت منقطع

نسأل الله أن يجعلنا من أهل جنته وطاعته ومن الناظرين إلى وجهه الكريم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين وأن يجيرنا من نيرانه وغضبه وعذابه وأن يغفر ذنوبنا وهو الغفور الرحيم – آمين .

معالجة النفس

اعلم إن من شـــأن معالجة النفس هو مخالفة هوى النفس فلا يوافقها فيما تهواه وقد أجمع أهل العلم أن رأس مال الســـالك مخالفة نفســـه ، ومن أطلق نفســـه فيما تهواه فقد أهلكها وأن أعظم حجاب بينه وبين ربه هو موافقة نفســـه ذكر في شـــرح الحكم لابن عباد رحمه الله تعالى قال: كان ابن عطاء يقول:- (من طلب عوضاً من الله على عبادته استحق الطرد والمقت) وقد أوحى الله إلى داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (يا داود حَذِّرْ وأنذر قومك من الشـــهوات فإن القلوب المتعلقة بشـــهوات الـدنيـا وعقولهـا محجوبـة عني)، وفي روايـة (يا داود إن أهون ما أنا صـــانع بعبدي إذا آثر هواه على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي)، ذكره في إيضـــاح الهمم وشـــرح الحكم لابن عباد فينبغي للعبد أن لا يغفل عن تفتيش

نفسه في عباداته فضلاً عن معاصيه فمن شأن العبد التجافي والتباعد عن ما للنفس فيه غرض من سائر الشهوات، لأن القناعة هي وقوف النفس عند ما رُزقت من غير تشوقٍ إلى زيادةٍ وإذا حصلت له تلك الزيادة في الرزق من غير أن يزاحمه أحد أكل منه بقدر الضرورة وترك الزائد لغيره لأن من كان عنده ما يكفيه الكفاية الشرعية وسافر أو قصد بعض الناس ليأخذ منهم أو يجمع منهم شيئاَ زائداً قاصداً به جمع المال بأن عنده كذا أو عليه كذا فهو بعيدٌ كل البعد عن طريق السالكين إلى الله تعالى، والعارف بالله تعالى الذي يدعي أو يزعم أنه من العارفين عليه أن يسلك مسالكهم ويشكر الله تعالى على ما رزقه في يومه ما يكفيه ولا يطلب منه رزق غدٍ حتى يأتيه لأن الله تعالى لم يطلب من عبده عبادة غدٍ! لأنهم يعتقدون أن الله تعالى أعلم بمصالحهم من أنفسهم فيرزقهم بقدر ما ينفعهم، فهم بهذه القناعة وبهذا العلم تجدهم يشكرون الله تعالى في السراء والضراء على ما رزقهم لأن أصل كل طاعةٍ ويقظةٍ وعفةٍ وقناعةٍ هو عدم الرضى عن النفس الأمارة بالسوء، وعدم الرضى عنها هي أصل الصفات المحمودة إلى جانب الطاعة والقناعة بما رزقه الله إياه،

والسالكين إلى الله تعالى يرون بأن أصل كل معصيةٍ وغفلةٍ وشهوةٍ وحبِّ الدنيا ولذاتها هو ارضاء النفس بكل ما تريده، والرضا عن النفس هو أصل جميع الصفات الذميمة التي توصل الإنسان إلى الهلاك فهذا هو معرفة طريق السالكين والعارفين إلى الله تعالى .

فيا من تزعم بأنك منهم إن كنت كذلك فأنت منهم وإن كنت غير ذلك فأنت بعيدٌ عن سلوكهم وأخلاقهم وأفعالهم.

ورحم الله تعالى من قال :-

ما لابن آدم غرته نفسه

وغره المال والسلطان والجاه

أرخى الزمان لإبليس فضلله

وعن طريق الهدى بالغي أغواه

يمارس الفسق في سرٍ وفي علنٍ

حتى تخصص فيه سلواه

يلهو ويلعب في دنياه مفخرة

وفي الملاهي وفي الحانات تلقاهُ

أما يدري بأن الموت غايته

وأن كل امرئٍ يُجزى بأخراه

إن الرضـى عن النفس يجعلك تقوم بتغطية عيوبها عن الناس ويجعلك ترى قبيحها حسـناً في نظرك ، وهنا ينصـرف قلبك عن التفقـد والمراعـاة في خواطرك وأحوالـك فتثور حينئـذٍ دواعي الشـهوة عليك وليس عندك من المراقبة والتذكير ما يدفعها عنك بسـبب الرضـى عن النفس الذي أعطاها ما تمنته منه حتى طغت هذه النفس الأمارة بالسـوء عليه فأصبح ليس عنده في قلبه بسبب الغفلة وبُعده عن الله من التذكير والخوف من الله تعالى ما يدفعها به عنه ، لأن الشـهوة كانت غالبةً له ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة لقوله صلى الله عليه وسـلم: المهلكات ثلاثٌ (إعجاب المرء بنفسـه، وشـح مطاع، وهوىً متبع) وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسـنده والترمذي والبيهقي: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) عن محمد بن عون الخرسُاني .أهـ.

وعن ابن عمر رضـي الله عنه قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (من لبس ثوب شـهرةٍ ألبسـه الله ثوب ذُلٍ ومذلةٍ يوم القيامة) أخرجه أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه. وعند أبي ذر رضي الله عنه:(أعرض الله عنه حتى يضعه) .أهـ .

والسبب في أصل ذلك كله هو رضاه عن نفسه، ومن لم يرضَ عن نفسه ولم يسكن إليها كان متيقظاً ومنقذاً لخواطره ويكون قد أخمد نار شهوته فلا تكون للنفس حينئذٍ عليه غلبةٌ ولا قوةٌ فيتصف حينئذٍ بصفة العفّة والتواضع والسخاء ويكون مجتنباً لكل ما نهاه الله عنه محافظاً على جميع ما أمره به الله وهذا هو معنى الطاعة لله تعالى وأصـــل هذا كله يرجع إلى عدم الرضى عن نفسه.

قال أبي حنيفة رحمه الله تعالى: من لم يتهم نفســه بالتقصــير على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال وما جرها إلى مكروهها في ســـائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باســتحســـانِ شـــيءٍ منها فقد أهلكها ، وكيف يصــح للعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم ابن الكريم (يوسف بن يعقوب ابن إبراهيم عليهم الســلام) يقول { وما أبرئُ نفســي إن النفس لأمارةٌ بالسوء } الآية . أهـ.

ويقول الجنيد رحمه الله تعالى (لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك) .

وقال ابن المقري في قصيدته المطولة منها :-

إلى كم تمادى في غُرورٍ وغفلةِ

وكم هكذا يومٍ إلى غير يقظة

لقد ضاع عمر ساعةٍ منه تشترى

بملء السماء والأرض أيّة ضيعة

أتنفق هذا في هدى هذه التي

أبى الله إن تساوي جناح بعوضة

أ أنت صديقٌ أم عدوٌ لنفسه

فإنك ترميها بكل مصيبة

كلفتَ بها دنيا كثيراً غرورها

تقابلنا في نصحها بالخديعة

إذا أقبلت ولتّ وإن هي أحسنت

أساءت وإن صافت أتت بالكدرة

ولو نلت منها مالَ قارونَ لم تنل

سوى لقمةٍ في فيك منها وخرقةِ

فدعها وأهليها بقسم وخذ كذا

بنفسك عنها فهي كل الغنيمة

تخاطبه إياك نعبد مقبلاً

على غيره فيها لغير ضرورة

أما تستحي من مالك الملك أن يرى

صدودك عنه يا قليل المروءة

إلهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا

إلى الحق نهجاً في سواء الطريقة

واعلم أن خيرات الدنيا والآخرة جُمِعت تحت كلمة واحدة وهي التقوى . وإن شـــئت فانظر إلى ما في القرآن من ذكرها فكم علق عليها من خير، ووعد عليها من ثواب فطوبى لمن وفّقه الله للعمل بهذه الكلمة قال الله تعالى { ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله } الآية .

وأن الله هو اعلم بصلاح عبيده من كل أحدٍ ولو كان في الدنيا خصـــلة هي أصـــلح للعبد وأجمع للخير له من هذه الخصـــلة لوصّى بها .

ومن معالجة النفس غض الطرف عن فضـــول النظر ، فيما لا يعنيه ولا يجوز له ذلك ، وعدم الإســـراع في المشـــي مع الســـكينة والوقار، وترك الكلام عن عيوب الناس وما فيهم ودعهم على خالقهم وهو الذي يحاســبهم ولا تذكرها لأحد لما فيها من العذاب الشـديد وأن نذكر محاســنهم فقط ونبتعد عن مســـاوئهم وعلينا بالتعامي وعدم الكلام عن عيوب الناس، ونذكر محاسنهم فقط لقوله تعالى { إن الذين يحبون أن تشيع

الفاحشـــة في الذين آمنوا لهم عذابٌ اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون } الآية ، ومن ظن في نفســـه أنه خيرٌ من أحد المســـلمين فهو جاهلٌ مخدوع ولو أُعطي ما أُعطي ، ومن رجَّح الثوب النفيس على الحقير فهو صـــاحب رعونة ليس له قدم من اتباع الســـنة فإن من شـــأن العبد أن يلبس لآخرته وهو ما يســـتر عورته ليقيه من الحر والبرد، وأن يتساوى عنده الثوب النفيس والخسيس على حدٍ سواء كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان لا يبالي بأي ثوب يلبس وكان إذا رأى ثوباً قطناً لبسه أو صوفاً لبسه أو عباءة لبسها وصلى بها إماماً في المسجد كما هو معروف في كتب الحديث وفي الحديث عن أنس بن مالك رضـــي الله عنه قال: (إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز شعير فقال لها: هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام)، وفي رواية: (فقال: ما هذه فقالت قرص خبزة فلم تطب نفســـي حتى أتيتك بهذه الكســـرة) رواه أحمد والطبراني)).أهـ.

فتدبر ما تضمنه هذا الحديث من حال تقليل السيد الكامل صلى الله عليه وسلم وما تحمَّله لنيل زيادة الفضائل مع ما منحه الله

إياه من الكمالات ومعالي المقامات ، فاجتهد في الوصـول إلى مقام الرجال.

واعلم بأن دواء القلب خمسـة أشـياء ذكرها بعض الأفاضـل وهي :-

دواءُ قلبك خمسٌ عند قسوتهِ

فدمْ عليها تفزْ بالخيرِ والظفرِ

خلاءُ بطنٍ وقرآن تدبره

كذا تضرعُ باك ساعة السحرِ

كذا قيامك جنح الليل أوسطه

وأن تجالس أهل الخير والخِبرِ

١-خلاء البطن من كثرة الأكل ، لأن كثرة الأكل يسـبب الخمول في الجسم، وعدم الرغبة بقيام العبادات، والذكر وقراءة القرآن وغيره، ويجلب كثرة النوم، وقسـاوة القلب، والغفلة عن الله تعالى.

٢-التـدبر في القرآن هو أن تتفكر في آيـاتـه ومواعظـه وأوامره ونواهيه وأن تفهم معاني آياته وما يرشـدك إليه.

٣-التضـــرع والبكاء في ســـاعة الســـحر طمعاً في ثوابه وخوفاً من عذابه .

٤-قيامك جنح الليل ووســـطه من صـــلاةٍ وقراءةِ قرآن واستغفارٍ وتسبيحٍ وتهليلٍ حتى تكون مع الذين قال الله تعالى فيهم { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق الســـموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ســـبحانك فقنا عذاب النار } الآية . وحتى تكون من الذين قال الله تعالى عنهم { والذين إذا فعلوا فاحشـــةً أو ظلموا أنفســـهم ذكروا الله فأســـتغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصـــروا على مـافعلوا وهم يعلمون أولئـك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونِعم أجر العاملين } الآية .

٥-مجالسة أهل الخير والصلاح ممن لهم دراية بهذه الحياة الفانية حتى يوصلوك إلى الطريق الصحيح ويرشدوك إلى القرين الصالح ويبعدوك عن طريق الظلال والإغواء وقرناء الســـوء كي تفوز بخيري الدنيا والآخرة هادياً مهدياً لا ضالاً ولا مضلاً .

فمتى كان العبد بهذه الصفة يكن محباً لله ومتقرباً إليه ويعرف العبد حينها بأنه قد صار لربه حبيباً تمكن هذا الحبيب من قلبه وجوارحه بلهجة ذكره وعكوف همته له على مرضاة محبوبه: فهل وجدت حبيباً يعصي حبيبه ؟! فعلى السالك إلى ربه أن يكون صادقاً في محبته لله وحده وليس في قلبه سواه امتثالاً لأوامره واجتناباً لجميع ما نهاه الله عنه ، لأن حب الدنيا وحب الله تعالى لا يجتمع في قلبٍ واحدٍ ! ففي هذه الحالة يكون المحب خائناً محبة محبوبه لأن المحب إذا تعلق قلبه بحبيبه فلا يرى شيئاً يدخل في قلبه سوى محبة الله تعالى فيعمل عاكفاً على طاعته بالشيء الذي يقربه من محبوبه حتى ينال محبة الله له ورضاه عنه ، ورحم من قال :-

يغوص البحر من طلب المعالي

ومن رام العلا سهر الليالي

تروم الوصل ثم تنام ليلاً

لقد أطعت نفسك في المحالِ

واعلم أن معرفة النفس هي أحدا أصول العبودية وقَّلَ مَن يعرفها في زمننا هذا ، فمن عرف النفس الأمارة بالسوء على الحقيقة وخالف أمرها نجا ومن غفل عنها وعن معرفتها

واتبع هواها فهو على خطرٍ عظيمٍ فالنفس والهوى شـــرانِ مســتطيرانِ لا يســلم من شــرهما إلا من خالف أمرهما، لذلك يقول ابن مسـعود رضـي الله عنه ارضَ بما قسـم الله لك، تكن من أغنى النـاس واجتنـب مـا حرّمَ الله عليـك تكن من أورع الناس وأدِ ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس ، واستعن بالله تكن من أهل خاصته.

ويقول عُباد بن الصـامت من أظهر اليأس مما عند الناس فإنه الغنيُ، وإياك والطمع فإنه الفقر وكن بالحق عاملاً يزدك الله نوراً وبصـــيرةً ولا تكن ممن يأمر به ولا يأتيه لقوله تعالى: { كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون } الآية.

واعلم أن الخير لا يفنى ، وإياك ودعوة المظلوم وكن متواضعاً لله ولا تكن متكبّراً تأخذك العزة فإن الله يقصـــمُ ظهر من كان متكبراً ولو بعد حين، وأدِمْ ذكرك لله تنـل محبتـهُ لـك، واعدد نفســـك من الأموات يبعدك عن انتهاك الأعراض ويزدك هِمَّةً للعمل في طاعته ومحبته، والزم الأدب في مخاطبة الآخرين، وفارق الهوى والغضـب، واحذر مجالس أهل الغفلة والسـوء، وقيّد الجوارح بـالطـاعـة وامنعهـا من عمـل الحرام، وقم بين

يديه مقام المستجير من عقابه، وكن من الذين قال الله تعالى فيهم: { وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما } الآية .

وقال ابن عباس رضي الله عنه: أربعٌ من كن فيه فقد ربح ؛ الصدق، والحياء، وحسن الخُلق والشكر. أهـ.

فكن من أهل هذه الصفات تنل خير الدنيا والآخرة .

واعلم أيها السالك اننا في هذا الزمان بحاجة إلى كل ذلك، ولكن مع الأسف أصبح الصدق لا وجود له إلا من رحمه الله، وقد قل الحياء وانعدم عند الكثير من الناس لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت) وأصبح حسنُ الخلق عملة صعبة وأصبح اليوم احترام الكبير وتقيره والعطف على الصغير كذلك إلا من رحم الله تعالى، ونرى السباب والسفاهة وطولة اللسان وسوء الخلقِ قولاً وفعلاً منتشرينَ لدى البعض في مجتمعاتنا الإسلامية، وقد قل الشكر عند كثيرٍ من الناس والله سبحانه وتعالى يقول { لئِن شكرتم لأزيدنكم ولئِن كفرتم إن عذابي لشديد } الآية. أي اذ لم تشكره على نعمه وجحدتها فإن عذابه شديدٌ .

واعلم أن حياة القلوب وفرحتها وانشراح الصدور ليست في الأغاني والقيل والقال والماجون اتباعاً للهوى لقوله تعالى:

{ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا } الآية ، فإن حياة القلوب وفرحها وبُعْدَ الضيق عنها هو بالعلم وقراءة القرآن والمواظبة على الصلاة ودوام الذكر لقوله تعالى: { ألا بذكر الله تطمئن القلوب } الآية ، هذا هو كلام ربي فاين نحن منه ؟!

وقد أخرج البيهقي عن عبدالله بن عمر ولفظه عند العسكري في الأمثال: ((مر رسول صلى الله عليه وسلم بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون فقال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس أكثروا)، وفي معنى آخر (أذكروا هادم اللذات فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسّعَهُ عليكم وإن ذكرتموه في غنىً بغضه عليكم إن المنايا قاطعات الآمال، والليالي مدنيات الآجال وإن العبد بين يومين يوم قد مضى وأُحصي فيه عمله فختم عليه ويوم قد بقي لا يدري لعله يصل إليه أو لا يصل إليه، وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلَّف، أيها الناس إن في القناعة لغنىً وإن في الاقتصاد لبلغة، وان في الزهد لراحة، وإن لكل عملٍ جزاء وكل آتٍ قريب)) أخرجه أيضاً أحمد والترمذي وابن ماجه مرفوعاً .أهـ.

ومن المقاصد الحسنة في حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً). ونحن كل أوقاتنا ضِحك وغفلة أين نحن من ذكر هاذم اللذات ومفرّق الجماعات وآخذ البنين والبنات جعلناه في قائمة النسيان بسبب النفس الأمارة بالسوء وبالهوى، لحب الدنيا وشهواتها، اسمع هذه القصة عندما إجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له هارون: عظني فقال: بم أعظك هذه قصورهم وهذه قبورهم، ثم قال البهلول كيف بك يا أمير المؤمنين إذا أقامك الله تعالى بين يديه وسألك عن النقير والفتيل والقطمير وأنت عطشان، جيعان، عريان، وأهل الموقف ينظرون إليك ويضحكون؛ (والمعنى أيها الحبيب النقير هي الحبة الدائرة الصغيرة التي في آخر نواة التمر، والفتيل هو الخيط الذي وسط النواة ممدود من أول النواة إلى آخر النواة، والقطمير هو الشاش الملفوف على النواة حق التمر مثل الشاش الذي يخرج على الطفل عندما يخرج من بطن أمه) فبكى هارون الرشيد وأمر لبهلول بصلة (أي بمبلغ من المال) فقال له بهلول ردّ ها على من أخذتها منهم

قبل أن لا تجد لهم شـــيئاً ترضـــيهم به (يوم القيامة) ثم قال رحمه الله تعالى :-

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدري لمن تجمع
فإن الرزق مقسومٌ وسوء الظن لا ينفعُ
فقيرٌ كل ذي حرصٍ غنّي كل من يقنع

فأقول : إن مما يُبطر النفس ويدفعها إلى الصـــراعات والقلق هو جمع المـال من حلالٍ أو حرامٍ حبـاً للـدنيـا المشـــئومـة والشـــهوات المذمومة وطول أملها ونســـيانها الموت والدار الآخرة فمن كان هذا حاله فعليه أن يعالج نفســـه وعلاجها التذكر للموت الذي هو أثر القهر الإلهي، وبقصـــر الأمل الذي هو أثر ذكر الموت وبقدر ما يُقصّـــرُ الأمل ويتذكر الإنســـان الموت يكون عكوفه على القيام بحقوق الله أكثر من حبه للدنيا ولذاتها ويكون اخلاصـه لله في العمل اكثر من إخلاصـه لجمع المال لقوله صـــلى الله عليه وســـلم ((الكيس من دان نفســـه وعمل لما بعد الموت)) رواه الترمذي عن أبي يعلى شـــداد ابن أوس رضـــي الله عنه وأخرجه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري.

ورحم الله من قال:-

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت

أن السلامة فيها ترك ما فيها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها

وديارنا لخراب الدهر نبنيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها

إلا التي كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه

وإن بناها بشرٍ خاب بانيها

نسأل الله تعالى أن يرزقنا القناعة ، والرضى بما قسمه الله تعالى لنا وأن يوفقنا لذكره وشكره وحسن عبادته آمين .

تطهير القلب

قال تعالى { ألا بذكر الله تطمئن القلوب } إن حقيقة الذكر لا يتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب وحينئذٍ فلا يستطيع الذكر دفع سلطان الشيطان وإذا أردت دفع الشيطان عن قلبك فعليك بالذكر والتقوى ولا تكن كمن يطمع أن يشرب الدواء قبل الإحتماء والمعدة لا تزال عنده مشغولة بلذيذ الطعام ويريد نفعه كما نفع الذي شرب الدواء بعد الإحتماء .

فالذكر: هو الدواء، والتقوى: هي الإحتماء، والإحتماء: هو تخلية القلب عن الشهوات، فإذا نزل الذكر قلباً فارغاً من الشهوات اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلّة بنزول الدواء في المعدة. قال تعالى {إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب}.أهـ.

من كتاب "إيضاح أسرار علوم المقربين إلى الله ".

وقيل لإبراهيم بن الأدهم :- ما لنا ندعو الله فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى: { ادعوني أستجب لكم } قال: (لأن قلوبكم

ميتةٌ) قيل : وما الذي أماتها . قال : ثماني خصـــال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسـول الله ولم تعملوا بسـنته وتيقنتم الموت ولم تسـتعدوا له ، قال الله تعالى { إن الشـيطان لكم عدوٌ فأتخذوه عدواً } فأطعتموه على المعاصـي وإذا قمتم من فرشـكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشـتم عيوب النـاس أمـامكم فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم) أهـ .

وإذا أردت تصـليح قلبك وجوارحك فعليك بما قاله بعض الأفاضل في شرح المراقي رحمه الله تعالى قال :-

دواء قلبك خمس عند قسوته

فدم عليها تفز بالخيرِ والظفر

خلاء بطنٍ وقرآنٌ تدبره

كذا تضرّع باك ساعة السحرِ

كذا قيامك جنح الليل أوسطه

وأن تجالس أهل الخير والخبرِ

اعلم أن الشيطان مثل الأسد الذي يشعر بشدة الجوع وعندما يرى معك ما يريده يهجم عليك كالسـهم ولا يرده عنك الكلام حتى تعطيه ما معك فينطلق به هارباً كالسهم، فكذلك الشيطان

عندما يجد قلباً خالياً من الذكر يندفع إليه كالســـهم ويزين لك حلاوة الدنيا وشهواتها وعلاج اندفاعه عنك هو ذكر الله تعالى فإذا ذكرت الله خَنسَ واندفع عنك كما يندفع الأسد بعد فريسته فلا تجعل قلبك خالياً من الذكر حتى لا تحل فيه الغفلة ويكون للشيطان له عليك سلطان فتسير على هواه : فاحذر ! واجعل قلبك دائم الذكر ولسانك رطباً بذكر الله لا تجعل للشيطان عليك ســلطاناً وتذكر قول الرســول صــلى الله عليه وســلم في عمر رضـي الله عنه ((لو سلك عمر عنه فجاً لسلك الشيطان فجاً آخر)) ففهم كلامي قال الله تعالى { إن الذين اتقوا إذا مســـهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون } الآية .

وقيل للحسـن البصـري ما هو سـر زهدك في الدنيا قال علمت بـأن رزقي لن يـأخذه غيري فـاطمـأن قلبي لـه ، وعلمـت بـأن عملي لا يقوم به غيري فاشـــتغلت به ، وعلمت أن الله مطلع عليَّ فاســـتحيت أن أقابله على معصـــية ، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله عز وجل .

قال بعض الأفاضل:-

الموت بابٌ وكلُّ الناسِ داخلُه

يا ليت شعريَ بعد الباب ما الدارُ

الدار دار نعيمٍ إن عملت بما

يرضي الإله وإن خالفت فالنارُ

هما محلّانِ ما للمرء غيرهما

فاختر لنفسك أي الدار تختارُ

فإذا أحسنت القول فأحسن الفعل ليجتمع معك مزية اللسان وثمرة الإحسان .

وإن مروؤة الرجل صدق لسانه واحتماله عثرات جيرانه وبذله المعروف لأهل زمانه وكفه الأذى عن أباعده وجيرانه .

وذكر في كتب السيرة أن رجلاً دخل على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال له : أوصني قال : أوصيك بثلاث أن تحفظ آلاء الله عليك في كل حالة كنت ، وأن تذكر اطلاع الله عليك في كل حالة كنت ، وأن تذكر الموت ودخول القبر على أي حالة كنت .أهـ.

واعلم أن الخوف من الله تعالى هو الذي يحث على العمل الصالح ويقمع جميع الشهوات ويزعج القلب من الركون إلى الدنيا ولذاتها وشهواتها ويدعوه إلى الابتعاد عن داء الغرور، والخوف من الله تعالى هو أصلح للعبد السالك إلى طريق الفلاح لأن الخوف يحرق نار الشهوة ويقطع محبة الدنيا على

القلب فينبغي على العبد أن يفارق الدنيا وهو محب لله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة وأبي موسى وأنس رضي الله عنهم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، ولقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء) .

وذكر صاحب كتابِ معالمِ الطريق إلى الله تعالى فقال: (إن محبة الله تعالى في القلوب لا تحصل الا باخراج محبة الدنيا من القلوب حتى تصير الدنيا عنده كالسجن المانع له من الذنوب وارتكاب المعاصي والأخلاق السيئة) فعلى المحب للقاء الله سبحانه وتعالى أن يكون مثل المرأة التي فقدت ولدها فتكون شاردة الذهن مضطربة العقل بعد ولدها وبينما هي كذلك تفاجأ برؤية ولدها فما يكون منها إلا ترك ما في يدها من غالٍ ورخيصٍ وراء ظهرها مهرولة بعد ولدها فتحتضنه، فكذلك المحب للقاء الله تعالى عليه أن يترك كل شيءٍ وراء ظهره وأن يفر من هذه الدنيا وشهواتها حتى يتعلق قلبه بحب الله تعالى عمن سواه كتعلق الأم بولدها عند

رؤيتها له بالهرولة ، – فعليك أن تكون أنت كذلك محبة وشوقاً ولهفة للقاء ربك والنظر إليه – ؛ لأن محبة الله تعالى ومحبة الدنيا لا تجتمع في قلب واحد، لذلك كان خوف العارفين بالله تعالى من سوء الخاتمة، هو خوفهم من اندراج ضعف الإيمان واستيلاء حب الدنيا على القلب فيشتغل القلب بحب الدنيا عن محبة الله عز وجل فكان هذا الاندراج هو تخوف العارفين من سوء الخاتمة، فمتى ضعف الإيمان من القلب ضعف حب الله تعالى في القلب وقوي حب الدنيا وشهواتها ولا يبقى في القلب حينها موضع لحب الله تعالى ولا للقائه؛ عند ذلك أصبح القلب خالياً من نور الإيمان الذي هو موضع نظر الله عز وجل فيه، فإذا كان القلب كذلك تتراكم فيه ظلمةٌ وقسوةٌ وحبٌ للدنيا واتباع للشهوات فينطفي ما فيه من نور الإيمان ويصبح القلب فارغاً من ذكر الله تعالى فإذا جاءه الموت كره ذلك بسبب ضعف حب الله عنده واستشعار فراقه الدنيا المحبوبة إلى قلبه فيتألم القلب حينها بفراق الدنيا ولذاتها وما فيها من متاع وجاه .. ورحم الله تعالى القائل :-

يا جامع المال في الدنيا لوارثه

هل أنت بالمال قبل الموت منتفع

قدم لنفسك قبل الموت في مهل

فإن حظك بعد الموت منقطع

فعلى العبد الإجتهاد بالعمل الصـــالح الذي يقربه إلى الله تعالى حتى يتم له الوصـــول إلى مقام الرجال المتقين العارفين بالله تعالى المخلصـين له في جميع أعمالهم وأحوالهم ، وأن يكون محباً للقاء الله سبحانه وتعالى ، وتاركاً لذات الدنيا وشهواتها، وأن يحسن الظن بالله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحســـن الظن بربه) رواه مســـلم عن جابر رضي الله عنه ، وكان حذيفة رضي الله عنه يقول: (إنه يأتي على القلب ســـاعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ســـاعة يمتلئ بالنفاق حيث لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة)) أهـ.

واعلم أيها الحبيب أن القلب أشـــد تقلباً من القِدر في غليانه لأن قلب المؤمن بين إصـبعين من أصـابع الرحمن يقلبه كيف شـاء ولولا أن الله تعالى لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بـالرجـاء لاحترقـت قلوبهم من نـار الخوف من الله تعـالى . وأســـباب الرجاء رحمة من الله تعالى لخواص الله ســـبحانه وتعالى وعباده حتى يسألوه ويرتجوه ولولا محبة الله وتوفيقه

لهم لم يسألوه أو يرتجوه .. ، والتقوى هي التي عليها المدار الذي لا يصلح البناء إلا به في جميع العادات مثل الأساس الذي يقوم عليه البناء – ولو كان هناك بناء بلا أساس فإنه ينهار ولا يدوم – .

وكذلك التقوى في جميع الأعمال عاقبتها السعادة قال تعالى: { والعاقبة للمتقين } الآية.

وإذا أردت أن تنال رحمة ربك ولا يفوتك عطفه فأرحم خلقه فالراحمون يرحمهم الرحمن ومن لا يرحم لا يُرحم وكما تدين تدان والسعيد من ألهمه الله فعل الخير وأرشده إلى طريقه .

واعلم أن أفضل الطاعات وأقربها إلى مرضات الرب تبارك وتعالى الإحسان إلى الضعفاء وإطعام المساكين والنظر في أمور المحتاجين ونصرة المظلومين وجبر المنكسرين ، ثم بعد ذلك يتقرب بنوافل العبادات لا سيما الصلوات وأهمها قيام الليل فإنها عبادة جليلة لأن الله ينزل في الثلث الأخير من الليل فيقول: (هل من سائل فأعطيه سؤله هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفرٍ فأغفر له) رواه الإمام مالك والبخاري ومسلم عن أبي هريرة .

وقد جاء في الحديث القدسي (القلوب هي أوطان السرائر الإلهية ومعادن العلوم الربانية) وأنت إذا صدقت في حسن المعاملة مع ربك فإنه يسبغ عليك نعمه وتعمك عنايته فيذيقك حلاوة الإيمان والمعاملة ويشرح الله صدرك وتحصل لك نوع من الإستقامة فتستريح بها .

ولا ينبغي أن تكون همتك بتحسين العبادات ووزن الكلام رياءً، بل يجب أن تتحرى الإخلاص في كل عملٍ تقوم به لأن الرياء حرمانٌ وخسران قال الإمام علي رضي الله عنه: (المنافق علمه في لسانه والمؤمن علمه في قلبه).

ذكر صاحب كتاب "إيضاح أسرار علوم المقربين إلى الله": ((إن موت القلب قد يكون من أصل الخِلقة، وقد يكون بما يطرأ عليه من الأحوال السيئة المميتة للقلب وهو القلب القاسي الذي لا يلين ولا يخشع ولا يألف ولا يرحم، فصاحب هذا القلب يكون ردئ الفطرة تراه يكره الوحدة ويميل إلى الاجتماع بالناس ويحب القيل والقال والدخول في فضول الكلام، فصاحب هذا القلب يكون بعيداً من الله سيء الفطنة في أمور الدين ولا يكاد ينتفع بموعظة ولا إرشاد))،

وذكر صاحب كتاب "تائية السلوك إلى الله تعالى" قال: وروي أن الرب جل جلاله خاطب موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال: يا موسى أتحب أن لا أنساك؟ فقال: نعم يا رب فقال: ((أحببِ الفقراء وأدنُ منهم وبشر الصديقين وأنذر المذنبين))، وما أحسن ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى بقوله: (إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز فيها لما أعلم من وجد أمه عليه) وصاحب القلب الحيّ هو الرحيم السهل القريب الإلف المألوف، يكون مستأنساً محباً للوحدة كارهاً القيل والقال مجانباً أهل الشر والخصومات لأن قلبه موضع النظر لربه وخزانة أسراره، وصاحب هذا القلب إذا كان يميل إلى الإختلاط بالناس فلا مانع عندنا بشرط أن يلتزم بقول القائل:-

خالطِ الناس واصبر بما بليت به

أصمَ أبكمَ أعمىَ ذَا تقِياتِ

واعلم أن الله تعالى كما جعل حياة البدن بالطعام والشراب جعل حياة القلوب في دوام الذكر والإنابة إلى الله تعالى، وعليك بترك الذنوب والغفلة الجاثمة على القلب وعدم التعلق بالرذائل وحب الشهوات فإنها تطمس البصائر ونور القلوب

ويحل محلها الرَّان كما جاء ذلك في قوله تعالى { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يعملون } الآية ، أي ران عليها من الذنوب.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيها رجلاً واحداً ثم جاءه الموت لكان بمنزلة من رأى في المنام ما يسره ثم إستيقظ فإذا ليس في يده منه شيء) وقال عبدالله بن المبارك:-

رأيت الذنوب تميت القلوب

وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب

وخيرٌ لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك

وأحبار سوء ورهبانها

فباعوا النفوس ولم يربحوا

ولم تغل في البيع أثمانها

لقد رتع القوم في جيفةٍ

تزعج ذا اللُبِّ ألوانها

وذكر صاحب المستلخص في تزكية الأنفس: (فإن السالك إلى ربه يدأب عاكفاً على أمرين حتى يتم سلوكه وهما استفراغ القلب بصدق الحب لله عز وجل، ومجاهدة النفس بامتثال أوامره، ولا يزال كذلك حتى تبدو عليه أسرار شواهد معرفة ربه في ملكوته وآثار صفاته وأسمائه فتضيئ نوراً على قلبه؛

فأما المجاهدة فهي: مخالفة النفس في جميع الأعمال السيئة وهي على قسمين:- مجاهدة العوام وهي توفية الأعمال من عدم النقصان، ومجاهدة الخواص وهي تصفية الأحوال النفسية من الأشياء الرذيلة فإن مقاساة الجوع والسهر سهلة يسيره بتبديل الأخلاق الذميمة بأخلاق محمودة ، والمجاهدة هي من أعظم أسباب الوصول إلى الله عز وجل قال تعالى: { وابتغوا إليه الوسيلة } أهـ .

وذكر الرفاعي في كتابه حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى فقال: عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الإسلام علانية والإيمان في القلب والتقوى هاهنا – قالها ثلاثاً ويشير بيده إلى صدره –)) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ صـ٥٢ رواه أحمد وأبو يعلي بتمامه

والبزار باختصـــار ورجاله رجال الصـــحيح غير أن علي بن مســعدة ذكره مختصــراً (من غير التقوى هاهنا) في الجامع الصغير،

والتقوى: هي التي تقر في القلب فَتُحكِمَ فيه الإيمان وإن الله جعل لكل شيء قدراً، ولكل قدرٍ حداً ولكل حدٍ سبباً ولكل سببٍ أجلاً ولكل أجلٍ كتاباً ولكل كتابٍ أمراً ولكل أمرٍ معنىً ولكل معنى صدقاً ولكل صدقٍ حقاً ولكل حقٍ حقيقةً ولكل حقيقةٍ أهلاً ولكل أهلٍ علامةً، وبالعلامة يعرف الحق من الباطل وكل قلبٍ أقعده الله على بســاط تحقيق المعرفة، يظهر أثرُها في حركاته وأفعــالــه وأقوالــه وعلى وجهــه. كمــا قــال تعــالى: { تعرفهم بســيماهم } وقال صــلى الله عليه وســلم: (من أســرَّ ســريرةً ألبســـه الله رداءها ، إنْ خيراً فخير وإن شـــراً فشـــر) ذكره الرفاعي في كتابه حالة أهل الحقيقة مع الله صـــــ٢٩. وقال الناظم رحمه الله :-

فلإن رحمتُ فأنت أكرم راحماً

وبحار جودك يا إلهي زاخرة

فآنس مبيتي في القبور ووحشتي

وارحم عظامي حين تبقى ناخره

نســـأل الله تعالى أن يطهّر قلوبنا من كل صـــفةٍ ذميمةٍ وذنبٍ يشـــغلنا وعنه ويرزقنا حســـن الخاتمة والســـتر في الدنيا والآخـــرة ! آمـيـــــن الـلـهـــم آمـيـــن .

علامة المحبة لله تعالى

إن من علامات محبة العبد لمولاه : تقديم أمور الآخرة وكل ما يقرب إلى الله تعالى على أمور الدنيا ، ثم إيثار محبته لله تعالى على هوى النفس ، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ونهى عنه ، وتطهير القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل ، الداعية للمحبة بالضرورة ولا يتوصل المحب إلى ذلك إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم ؛ وذكر صاحب ايضاح الهمم بقوله :- وقد وصف سبيل المحب لله أبو الحسن في قوله ((سمعت أبا عبدالله أحمد بن عطاء يقول : العلم موقوف على العمل ، والعمل موقوف على الإخلاص فيه والإخلاص لله يورث الفهم عن الله تعالى)) ، وقال بعض العارفين من آمن بالأخرة لم يحرص على الدنيا ومن استعان بالله استغنى بحبه عن سائر عباده وسئل الشبلي : (متى يذوق العبد الأنس بالله؟) قال : إذا صفا الود وحسنت المعاملة ، وسئل متى يصفو الود؟ فقال إذا اجتمع الهم فصار في الطاعة)) ، وإليك سبع خصال مؤدية إلى حال المحبة : وهي لا تحزن على ما فاتك ، ولا تحمل هماً ما لم ينزل بك ، ولا تلم الناس

على ما فيك مثله ، ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل ، ولا تنظر بالشـهوة إلى مالا تملك ، ولا تغضـب على من لم يضـره غضبك، ولا تمدح من يعلم نفسه خلاف ذلك ؛ وهذا شأن أهل الله من المحبين .

وأخســر الناس في الدنيا من أبدى للناس صــالح عمله وبارز في ســره بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد ومن كان عكس هذا فهو أفضـــل عند الله وأقرب، أي من أخفى عمله الصـالح لربه وتواضـع في الناس ، ولا يبالي إلا بالله إذا عمل مختاراً أو قَّصَرَ معتذراً . أهـ.

قال عبدالواحد: (ذُكِرَ لي أن رجلاً مجنوناً ينطق بالحكمة، فلم أزل أطلبه حتى وجدته في خرابة جالســاً على حجر، فلما نظر إليّ قال من غير أن أكلمه: مرحباً بك يا عبدالواحد، فقلت له: رحب بك الله، وعجبت من معرفته لي ولم يرني من قبل ! ثم قال: ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ فقلت: جئت لتعظني، فقال: يا عبدالواحد اعلم أن العبد إذا كان في كفاية ثم مال إلى الدنيا سلبه الله حلاوة الحب، فيظل حيران ولهان فإن كان له نصيب عند الله عاتبه وأدبه في سره، ثم يقول له: يا عبدي أردت أن أرفع قدرك في نظري وعند ملائكتي وحملة عرشـــي وأجعلك

دليلاً لأوليائي وأهل طاعتي في أرضـــي فملتَ إلى عرض من الأعراض الفانية وتركتني فأورثتك بذلك الوحشـــة بعد الأنس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى، عبدي ارجع إلى ما كنت عليه أرجع لك ما كنت تعرفه من حبي ولطفي وبري وعفوي ثم أنشد :-

إنك في دار لهامدة

يقبل فيها عمل العامل

أما ترى الموت محيطاً بها

يقطع فيها الآمل العامل

تتعجل الذنوب بما تشتهي

وتأمل التوبة من قابل

والموت يأتي بعد ذا غفلة

ما هذا بفعل الحازم العاقل

فبهتُ وتركته ورجعت منيباً إلى الله وعرفت أنه كان يحدثني بلســـان الحق وإذ أنا في الحال قال :- يا عبدالواحد ، أما ســمعت قول الرســول صــلى الله عليه وســلم فيما خطب به الناس: أيها الناس إن الأيام تطوى والأعمار تفنى، والأبدان في ثرى تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضـــان تراكض البريد،

يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد ؛ وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات).

وفي الحديث القدسي: (كذب من ادعى محبتي وإذا جنَّه الليلُ نام عني أليس كل حبيب يشتاق إلى الخلوة بحبيبه ؟! فها أنا قريب من أحبائي أسمع سرهم ونجواهم وأشهد حنينهم وشكواهم) .

والأنس بالله هو: الفرح بوجدان حضرته، والسكون إلى عنايته والاستعانة به، فإن لله تعالى عباداً استأنسوا به فكانوا في وحدتهم أشد أنساً من الناس في كثرتهم .أهـ.

من كتاب أهل الحقيقة مع الله . وقال بعض الأفاضل في كتاب جامع الأصول :-

الأنس بالله لا يحوبه بطّال

وليس يدركه بالحول محتالُ

والآنسون رجال كلهم نُجْبٌ

فهم صفوة لله عُمَّالَ

وفي جامع الأصول ايضاً : إن أصل الأنس الاسترواح بروح القرب وشاهِدُهُ الاقتراب من حال القرب ، وفي هذا تقول رابعة العدوية :-

ولقد جعلتك في الفؤاد محدِّثي

وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانسٌ

وحبيب قلبي في الفؤاد جليسي

وقالت أيضاً في مناجاتها: (إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبك ؟! فهتف بها هاتفٌ : ما كنا نفعل هكذا فلا تظني بنا ظن السوء !) .أهـ .

ومما ذكره صاحب كتاب أهل الحقيقة مع الله تعالى: (والمحبة هي شوق وإتسام بالهمة، يقول الإمام الغزالي: إن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والأحوال فما بعد ادراك المحبة من حال إلّا وهي ثمرة من ثمارها وتابعة من توابعها كالشوق والأنس وغيرهما، ولا قبل المحبة من حال إلا وهو مقدمة من مقدماتها من المقامات ومنها التوبة والصبر والزهد، وأما حقيقة المحبة فلا يعرفها سوى المحبوب أو المحب) .

ويقول صاحب منازل السائرين إلى الله تعالى: ((: { فسوف يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه} الآية، والمحبة هي عكوف للقلب بالهمة على القرب ونتيجتها الأنس بالله))،

ويقول صـاحب جامع الأصـول: (إن المحبة في البدايات هي التلذذ بالعبادات والتخلي عن الشهوات، والتقرب إلى المحبوب والإشـــتياق إليه، والتخلي عن شـــهوات الدنيا ولذاتها والإعراض عن كل ما ســـواه، وفي العزيمة تجريد الحب المرموق، عن الموانع وتصـميم العزم عليه من هجر القواطع وفي القرب إحياء نور القلب بالنظر في الآيات، ودوام مطالعة حسن الصفات)) ، ذكره صاحب كتاب أهل الحقيقة مع الله في كتابه .

وقال بعض الأفاضل :-

سقى الله قوماً من شراب وداده

فهاموا به ما بين باد وحاضر

يظنهم الّجُهال جنوا وما بهم جنون

سوى حب على القوم ظاهر

والمقصود بهذا أن قوماً هاموا بحب الله حتى ظن بعض الناس أنهم مجانين .

نسأل الله أن يرزقنا حبه وحب من يحبه آمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين.

الطمع بما في أيدي الخلق

قال تعالى { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسنُ عملا } الآية ، فحسن الأعمال إنما يكون بالفهم عن الله من الاغتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه ولا يكون كل ذلك إلا من ثمرة الفهم عن الله وتفقُّد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقده مما سواه، وتطهير قلبك من الطمع مما عند الخلق، والطمع: هو تعلُق القلب بما في أيدي الخلق وتشوُّق القلب إلى غير الرب ؛ قال الشيخ أبو العباس المرسي :- ((والله ما رأيت العز إلا في رفع الهِمَّةِ عن الخلق)) وإنما كان الطمع هو أصل الذل والهوان لأن صاحب الطمع ترك رباً عزيزاً وتعلَّق بعبدٍ حقير فأحتُقِر مثله ، وترك رباً كريماً وتعلق بعبدٍ فقيرٍ فأفتقر مِثله ، وأن الله يرزق العبد على قدر همَّته ، وإنك أيها الإنسان مهما أحببت شيئاً وطمعت فيه إلا كنت عبداً له ؛ قال بعض الأفاضل :-

لا تخضعن لمخلوق على طمع

فإن ذلك نقصٌ منك في الدين

واسترزق الله من خزائنه .

فإن رزقك بين الكاف والنونِ

واستغني بالله عن دنيا الملوك كما

استغنى الملوك بدنياهم عن الدينِ

ومهما أيست من شيءٍ ورفعت همتك عنه إلا كنت حراً منه ، وكن أيها العبد مثل ما قال أبوك إبراهيم عليه السلام : { لا أحب الآفلين } الآية ، أي كل ما سوى الله آفلٌ إما وجوداً وإما إمكاناً ، فالواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم ومن ملة إبراهيم رفع الهمة عن الخلق فإنه يوم زُجَّ به في المنجنيق فتعرض له جبريل – عليه السلام – فقال: ألك حاجة ؟ فقال: (إليك فلا، وأما إلى الله فبلى)، فقال: (فسأله) قال: (حسبي من سؤالي علمه بحالي) فانظر كيف رَفَعَ إبراهيم عليه السلام همته عن الخلق ووجَّهها إلى الله ولم يستغث بجبريل، بل رأى الحق سبحانه وتعالى أقرب إليه من جبريل فأنجاه الله من النار ومن النمرود ونكاله ، وأنعم عليه بنواله وأفضاله .

واعلم أن ما جرَّك إلى شيء أو قادك إلى الطمع بما عند الخلق والتملق لهم والتذلل لما في أيديهم فهو شيءٌ مثل الوهم كأنك رأيت حلماً وعندما أفقت من النوم لم تر شيئاَ ؛ فكلما توهمت

أن بأيديهم نفعاً أو ضـــراً أو عطاءً أو منعاً طمعت فيهم أكثر وتذللت لهم واعتمدت عليهم وخفت منهم، ومع ذلك التذللِ والطمعِ واكاليك الأمر عليهم لم تنل منهم شـــيئاً، وإنك بهذا الفعل أصـبحتَ مُعرِضـاً عن الله مقبلاً إلى الخلق بسـبب ذلك الطمع؛ فلو كنت مؤمناً بالله حقاً واثقاً به في جميع أمورك وأوكلت أمرك إلى الله جل جلاله لحصـــل لك اليقين بأن أمرك ورزقك بيد الله سبحانه وتعالى لا بيد غيره ولعرفت أن أمرهم بيد الله وأنفسـهم في قبضـته عاجزين عن نفع أنفسـهم فكيف يقدرون على نفع غيرهم ؟! لو عرفت ذلك لجزمت يأسك منهم ورفعت همتك عنهم وتعلقت همتك برب الأرباب الذي بيده كل شـــيء وهو على كل شـــيءٍ قدير ، ونبذت الأصـــحاب والأهل والأحباب . وقال في ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه :-

لا تسألن ابنَ آدم حاجة

وأسئلِ الذي أبوابه لا تُحجبُ

وقال أيضاً بعض الأفاضل في ذلك :-

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناسِ

واقنع بعز فإن العز في اليأسِ

واستغن عن كل ذي قرب وذو رحم

إنَّ الغني من استغنى عن الناس

وقال في التنوير :- إنما مُنَعَ العباد من السبق إلى الله بسبب تعلقهم بغير الله فكلما همَّت قلوبهم أن ترحل إلى الله جذبها ذلك التعلق إلى ما به تعلقت أهـ .

فإذا فهمت ذلك وعلمت برحمة الله سبحانه وتعالى وبرأفته وكرمه ونفوذ قدرته واحاطة علمه بكل شيءٍ وبك ، وعلمت أنك إذا سألته شيئاً أو هممت به أو احتجت إلى شيء فمنعك منه فإنما منعك ذلك رحمة بك وإحساناً إليك ، أو ادَّخره لك للأخرة ، أو ليدفع به عنك ضرراً قد ينزل بك ، فانظر كيف كان حسن نظر الحق لأوليائه المتقين وحسن تدبيره لهم ، فعليك بتطهير جميع ميولك وأفكارك من الشك والضعف حتى لا تقول لماذا أدعو ولا يستجاب لي ؟! فعليك أن تجعل فؤادك دائماً طاهراً نقياً لإشراق نور الحق فيه لتستقيم حياتك ظاهراً وباطناً كما أمرك الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى { وإما ينزغنك من الشيطانِ نزغٌ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم } الآية .

واعلم أن الله سـبحانه وتعالى أوجدك في الدنيا لتتعرف عليه وتسـعى إليه لا لتأكل من رزقه وتجحده بل لتعبده، والله سبحانه وتعالى يقول: { وما خلقتُ الجِنَّ والإنس إلا ليعبدون} الآية، فإن أقبل بإحسـانه عليك فعليك أن تُقْبِلَ بقلبك عليه فيكون منه مبدؤك وإليه مرجعك .

وإذا كنت من المتفكرين فكن من المعتبرين، وإذا كنت من المعتبرين، فكن من الموقنين، وإذا كنت من الموقنين فكن من العاملين بالإخلاص – لله جل وعلا – وإذا كنت من المخلصين له فأنت المقصود بالقرب من الحق سبحانه وتعالى، ومن أراد – الله جل وعلا – هدايته وارشـاده مدَّ له حبلاً من عنايته موصولاً بكرامته لقول رسول الله صل الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً ستعمله، فقيل له كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفِّقه لعمل صالح قبل الموت يقبضه عليه) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان وابن خزيمة عن أنس مرفوعاً .

الإسلام

هو دين الله تعالى الذي جاء به جميع الأنبياء من عند الله لجميع البشرية، والإسلام هو بداية دخول الطريق إلى الله والتقرب منه لأن جميع الأعمال تدخل في مسمى الإسلام، والإسلام: هو الاستسلام والانقياد لكل ما أمر الله به، واجتناب كل ما نهى الله تعالى عنه لقوله تعالى: { إن الدين عند الله الإسلام } الآية، فالإسلام: هو إقرارٌ باللسان ونطق بالشهادتين وعمل الجوارحِ بالقيامِ بالعبادةِ والعمل بالأركان، والإسلام أن تُسْلِّمَ قلبك لله تعالى ويَسْلَمُ كلُ مسلم من أذاك .

وذكر صاحب معالم الطريق إلى الله: بأن الإسلام له دعائم ولا يتم إسلام المرء إلا بها، لأنها تقوم بصحة إسلام المرء وهي:- الشهادتان، والصلوات الخمس، والزكاة، والصوم، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجماعة، والاستقامة، وأكل الحلال، والبغض والحب في الله، وحُسن التعامل مع الناس؛ ومما يدخل أيضاً في أعمال الإسلام العبادة واخلاص النية بالعمل لله تعالى، والنصح له وسلامة القلب من الغش والحسد وكل فعلٍ قبيح وما يتبع ذلك من أنواع

الأذى كما ورد في مسند الإمام أحمد والنسائي عن معاوية بن خديج قال: قلت يا رسول الله بالذي بعثك بالحق ما الذي بعثك الله به ؟ قال: (أن تُسْلِّمَ قلبك لله تعالى وأن توجه وجهك لله وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة) .

فالإسلام هو: المدخل الأساسي إلى مرتبة الإيمان؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يرتقي إلى درجة الإيمان حتى يتحقق صدق الإيمان الغيبي في قلبه قولاً وعملاً بأركانه لأن صحة الإيمان لا يصح إلا بصحة الاقرار اللفظي اعتقاداً جازماً بما وقر في قلبه، وصَدَّقَهُ العمل بحيث لا يشوبه شائب أو شك في دينه حينها يكونُ الإيمانُ لأنه ثمرةُ العمل بأركانِ الإسلامِ بالجوارح قيام بأعمال العبادة، لذا فإن الإسلام هو المدخل الأساسي إلى مرتبة الإيمان.

فانظر وتأمل معنى حديث الرسول صل الله عليه وسلم واحرص على العمل بهذه الدعائم التي لا يتم الإسلام إلا بها، ومما يدخل في أعمال الإسلام وحقيقته وما يحثنا ويأمرنا به هو: صدق اللسان في القول واحتمال عثرات الجيران، وبذل المعروف لأهله ولغير أهله، وكف الأذى عن الناس والجيران، والإحسان عند الاساءة وعدم أخذ الإساءة بالإساءة. كما روي

عن سـليم بن جابر الهجيمي قال: أتيت النبي صـلى الله عليه وسـلم وهو محتب في بردة وأن هِدابِها لعلى قدميه، فقلت: يا رسـول الله أو صـني قال: (عليك باتقاء الله ولا تحقرن من المعروف شـيئاً وإياك وإسـبال الإزار فإنها من المخِيلِة ولا يحبها الله، وإن امروٌ عَيَّرك بشيء يعلمه منك فلا تُعَيِّرُه بشيء تعلمه منه ودعه يكون وبالاً عليه وأجره لك ولا تسبن شيئاً، فقال: فما سـببت بعدُ دابةً ولا إنسـان))، ذكره الأدب المفرد في باب الإحتباء.

اعلم أيها الحبيب أن هذه الأفعال هي حقيقة معنى الإسلام وإذا تحقق منها الإنسـانُ وعمل بها على الوجه الأكمل انتقل منها إلى درجة الإيمان كما جاءت في سورة الحجرات درجة حقيقة الإيمان والذي ينبعث منه العلم والتحقق باليقين بالأمر للاتباع وبالنهي للاجتناب وأنَّ كل شيء جاء من عند الله وقد كتب في الأزل ، وأن الله مطلع على كل شـيء ويعلم بما يدور في الصدور من سر وعلانية والله بكل شيء عليم ، فإذا تحقق من ذلك دخل المرتبة الثانية التي هي أعلا من درجة الإسـلام وهي درجة الإيمان والتي هي بعد الإسـلام وقبل درجة

الإحسان والذي سيأتي الكلام عنه في مكانه إن شاء الله تعالى فافهم قولي !

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . نسأل الله تعالى حسن الإسلام والاستسلام والانقياد لأوامر الله واجتناب ما نهى الله تعالى عنه آمين .

الإيمان بالله

هو الركن الأول من أركان الإيمان والإيمان: هو الذي لا يتم الدخول فيه إلا بعد الدخول في الإســـلام، ولا يكون الإنســـان مؤمناً إلا إذا تحقق الإيمان ووقر في قلبه وعمل بأركانه كما قال عليه الصلاة السلام: ((ما فضلكم أبو بكر بصلاة أو صيام وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره)) .

فالإيمان هو: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

فالإيمان الموصـل إلى معنى حقيقة الإحســان والتي هي أعلى مراتب كمال العبودية لله ســـبحانه وتعالى هو: ما وقر في القلب وتحقق باليقين منه وعُمِل بأركانه فإذا تحقق ذلك منه نـال ذلـك الترقي لهـذه المرتبـة والتي هي أعلى مرتبـة بعد الإســـلام كما دل عليه حديث جبريل عليه الســـلام حين ســـأل الرســـول صـــلى الله عليه وســـلم عن الإســـلام ثم الإيمان ثم الإحســـــان فكـان يترقى فيـه من الأعم إلى الأخص، وحقيقـة الإيمان هو ما وقر في القلب وصـدّقهُ العمل، وليس كل مسـلم مؤمن ولكن كل مؤمن مسلم لتحقُّق ذلك الإيمان في قلبه إيماناً

جازماً بربه قولاً وعملاً واعتقاداً به مصـــداقاً لقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا ءامنوا بالله ورســـله والكتاب الذي نزل على رســـله والكتـاب الـذي أُنزل من قبـل ومن يكفر بـالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر فقد ضـل ضـلالاً بعيدا } الآية سـورة النسـاء ، وذكر الإمام الصـابوني في مختصـره تفسير بن كثير ما نقله: (روى الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضـي الله عنه قال أعطى رسـول الله صـلى الله عليه وسلم رجلاً ولم يعطِ رجلاً منهم شيئاً فقال سعد رضي الله عنه يا رســـول الله أعطيتَ فلان وفلان ولم تعطِ فلاناً شـــيئاَ وهو مؤمن فقال صـلى الله عليه وسـلم: (أو مسـلم)؟ حتى أعادها سـعد رضـي الله عنه ثلاثاً والنبي صـلى الله عليه وسـلم يقول (أو مسلم) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعطِ رجلاً وادع من هو أحب إليَّ منه فلم أعطه شيئاً ...إلخ)) أهـ .

أقول: وهنا يدل معنى الحديث أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قد فرق بين المؤمن والمســـلم و هذا ما دل على أن الإيمان أعلى من الإسـلام . وإن كان الإسـلام والإيمان متلازمين ففي الحقيقة ليس كل مســـلم مؤمن ولكن كل مؤمن مســـلم على التحقيق لقولـه تعالى : { قـالـت الأعراب آمنـا قل لم تؤمنوا

ولكن قولوا أســـلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } الآية الحجرات .

وذكر الإمام الصابوني في مختصره تفسير بن كثير عن هذه الآيات في الإعراب فقال: ((إن هؤلاء الأعراب مســـلمون ولكن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ونسبوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه وهو مقام الإيمان فأدبهم الله سبحانه وتعالى وأعلمهم بأنهم لم يصـــلوا إلى ذلك بعد فقال الله تعالى تأديباً لهم: { قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أســـلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورســـوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً } ، المعنى إذا وصلت حقيقة الإيمان في قلوبكم لم ينقصكم من أجوركم شيئا ؛ لقوله تعالى: { أن الله غفورٌ رحيم } الآية، وذلك لمن تاب إليه وأناب، فهؤلاء الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم على رسول الله صلى الله عليه وســـلم رد الله تعالى عليهم بقوله { قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم } الآية، كما جاء في الحديث الذي رواه الحافظ البزار عن ابن عباس رضـــي الله عنهما قال: جاءت بنو أســـد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك فقال رســـول الله صـــلى الله عليه

وسلم: (إن فقههم قليلٌ ، وإن الشيطان ينطلق على ألسنتهم) فنزلت قوله تعالى { يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين} الآية،)) أهـ .

أقول: فهذا دليلٌ واضحٌ فليس كل مسلم مؤمن وإنما كل مؤمن مسلم على التحقيق لقوله تعالى: { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا } الآية، فهذا هو حال الأعراب وفي عهد النبوة قد كان فقههم قليلٌ والشيطان ينطلق على ألسنتهم كما جاء في الحديث الشريف، فكيف حال المسلمين اليوم مع إيمانهم بربهم؟ أصبح في ضعفٍ وهوانٍ بسبب حبهم لشهواتهم وعدم توكلهم على الله، لأن التوكل على الله هو السلاح الذي يجعل من الضعف قوة، ومن القلة كثرة، وهذا التوكل هو الذي واجه الرسل به طغاة قومهم فنصرهم الله عليهم مصداقاً لقوله تعالى عند ما قالوا: { وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون} الآية .

كما جاء في حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب الإيمان منه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه: (أيُّ

المؤمنين أعجب إليكم إيماناً، قالوا: نحن، قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قومٌ يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها)) أهـ .

فالإيمان الحقيقي هو: الذي ينطوي في قلبك على وحدانية الله دون شريك له، وتصديق كلامه فيما يجب الإيمان به شرعاً بحيث لو خالفك أهل الأرض فيما انطوى عليه قلبك لا يستطيعون تغير هذا الإيمان القوي الذي وقر فيه ، والذي لا تجد فيه شكاً أو ريباً لتحقيق الإيمان المغروس في قلبك مستدلاً بالمصنوع على الصانع، وبالأثر على المؤثِّر لأن وجود الأثر بلا مؤثر محال؛ كما قال الأعرابي عند ما سئل وأجاب بالفطرة: ((إن الأثر يدل على الميسر والبعرة تدل على البعير وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج وأرض ذات فجاج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير!)) .

أما الإيمان الذي لا يعتمد عليه إنما هو إسلامُ إقرارٍ باللسان فقط وعدم العمل بالأركان وإقرارها في القلب فهذا يخاف منه؛ لأنه يقول أعمل مثل ما يعمل الناس من صلاة وصيام وغيره، فمن كان هذا حاله يكون مقلداً لوالده أو بما يقوله العلماء ولم يكن هذا الإيمان وقر في قلبه أو مغروساً فيه وإنما اعترافاً

منه بقول القائلين من غير حجةٍ أو تحقيقٍ عنده بإيمانه فهذا تجده يتغير بأدنى شبهة تغيراً سريعاً عند هبوب وساوس الشيطان لأي طائفة من الطوائف الأخرى أو لأي ديانة أخرى، وإذا لم يكن قد وقرت حقيقة الإيمان في قلبه ومعتقداً بوحدانية الله تعالى وبكل ما يجب الإيمان به فهذا يخاف أن يسلب إيمانه عند موته – ونعوذ بالله من سوء الخاتمة – ! فإذا كان الإيمان قولاً باللسان بلا عمل بالأركان ولا عقيدة صحيحة فلا يكفي قبول الإيمان فقط دون عمل الجوارح بالعبادة وتصديق القلب بالأركان. أما المؤمن المتحقق العارف بالله عرف بنور الله الذي قذفه الله في قلبه حقيقة إيمانه بربه والصدق بكل ما جاء من عند الله وما أخبر به في كتابه وما جاء به على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقاً جازماً لا يخالط فيه شكٌ ولا ريبٌ، فهذا هو الإيمان المقبول إقراراً باللسان، واعتقاداً في القلب بالعقيدة الصحيحة، والعمل بالأركان والجوارح للعبادة .

فالإيمان الصحيح هو: الذي يشتمل على العقيدة الراسخة المغروسة في القلب لأنها المقدمة على جميع الأعمال وهي الأساس بقبول الأعمال، فهل وجدت بِنَاءً يقوم بغير أساس؟

فالعقيدة الصـــحيحة المغروســـة في القلب والعمل بالأركان وواجباته هي الأساس تجعل الإنسان يستشعر بقرب الله منه ودوام استحضار هيبته وايثار محبة الله ورسوله على محبة ما ســـواهما ثم الحب في الله والبغض في الله تعالى ثم تقوى الله في قلبه وتصـــفيته من جميع الأقوال الذميمة كالغيبة والنميمة والحقد والحسد والغش والتجريح وسوء الظن وكل نوع من أنواع الأذى حتى يطهر القلب من جميع هذه الأعمال الســـيئة، فإن كان كذلك يكون القلب وجلاً خائفاً من عذاب الله ومن ســـوء الخاتمة ولا يقابل الســـيئة بالســـيئة بل يقابلها بالحســـنة لقوله تعالى: { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً } الآية، فعند ذلك يســـتشـــعر بمراقبة الله تعالى له في جميع حركاته وســـكناته وخطراتِ قلبه، وتحقق بعلم اليقين بأن الله مطلعٌ عليه ويراه في جميع أفعاله كما يتحقق من رؤية الشيء الذي يراه أمامه بعينه مما جعله لا ينظر إلى شكله أو صورته قبل أن ينظر إلى طهارة قلبه الذي هو محل نظر الله له كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم: ((إن الله لا ينظر إلى

أجســـامكم ولا إلى صـــوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)) رواه مسلم.

فإذا تحقق هذا الإيمان عنده في قلبه صـــدقاً وقولاً وعملاً زاد عنده الإيمان ووصـــل به إلى الترقي من مرتبة الإيمان إلى المرتبة الثالثة وهي مرتبة الإحســـان والتي هي أعلى مراتب كمال العبودية كما جاء في حديث جبريل عليه الســـلام عندما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهنا لا بد من تحقيق التقوى وهي: الورع والخوف من الله تعالى وأن الله يراقبه حتى تكون جميع أعماله خالصـــةٌ لله عز وجل بحيث لا يشوبه شيء مما يدخل في النفس من الرغبات الخفية كالرياء وغيره لمعرفة علمه بأن الله تعالى معه ويراه ويســمعه لقوله تعالى: { وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصـــير } الحديد، ولقوله صـــلى الله عليه وســـلم الذي رواه مســـلم والبخاري عن أنس رضـي الله عنه عن النبي صـلى الله عليه وسـلم قال: (ثلاث من كُنّ فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان ؛ من كان الله ورســـوله أحب إليه مما ســـواهما ، وأن يحب المرؤ لغيره ما يحبه لنفســـه، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن

أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) فإذا تحقق ذلك بالصـــدق والنية والإخلاص والعمل بالأركان الذي لا يخالطه شـــك فيه ولا ريب عرف معنى قوله تعالى: { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصـــين له الدين حنفاء } الآية، فالإســـلام والإيمان وأن كانا متلازمين ، يأمرانا بالعمل التام والدؤوب في العبادة والمبادرة في المســـابقة بالخيرات والخوف من الله عز وجل وعدم التقصير في طاعته، لأن الإسلام عمل والإيمان تصـــديق وليس مجرد كلام فقط. كما ذكر الصـــابوني في مختصـــره لابن كثير في قوله تعالى: { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله } فاطر، فقال: فالذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين إقتصدوا – والمقتصد هو: المتوسط في العمل – فأولئك يحاسبون حساباً يسيرا، وأما الذين ظلموا أنفســـهم فأولئك الذين يُحْبَسُـــونَ في طول المحشر ثم يتلافاهم الله برحمته وهم الذين يقولون: { الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفورٌ شـــكور الذي أحلَّنا دار المُقامة من فضله لا يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوب}. وقال أبو داود الطيالس عن عقبة ابن صـــهبا الهنائي – قال:

سألتُ عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: { ثم أورثنا الكتاب } الآية، فقالت لي: يا بُني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق، وأما المقتصد ممن اتبع أثراً من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه مثلي ومثلكم ، فقال عقبة فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها رضي الله عنها من باب التواضع، وإلَّا فهي أكبر السابقين بالخيرات لأن فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام – أهـ.

وفيه أيضاً قال: (قال صلى الله عليه وسلم: يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم، قلنا من يارسول الله قريش؟ قال لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة وألين قلوباً، وأشار بيده إلى اليمن فقال: هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية، فقلنا يا رسول الله هم خير منا !؟ قال: (والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مُدَّ أحدكم ولا نصيفه) ، ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال: (الا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس) وقال تعالى: { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم

درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير } الآية، أخرجه بن جرير عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه)) من مختصر بن كثير .أهـ .

أقول فالإسلام والإيمان ليس مجرد كلام يقال فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان فالإيمان هو ثمرة العمل بأحكام الإسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً لقوله تعالى: { وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } التوبة .

إن الله أوجدك في الدنيا ليتعرف عليك حتى تتعرف عليه...؛ فكن مقبلاً بقلبك عليه حتى يكون منه امتدادُك وإليه مرجعك، وكن من الطامعين في رضاه، ومن الموقنين العاملين له ومن المخلصين الصادقين ولا تكن من الكاذبين وكن خائفاً من عذابه ومستجيباً إلى ندائه واستحِ من الله لقربه منك، فلا يراك إلا المكان الذي يحب أن يراك فيه، ولا تجعله يراك في المكان الذي لا يحب أن يراك فيه، وعليك بترك المعاصي والذنوب والغفلة الجاثمة على قلبك، ولا تعلق النفس بالرذائل وحب الشهوات التي تطمس أنوار الإيمان في قلبك، ولا تكن

ممن يرى في منامه ما يسره وإذا استيقظ فليس في يده مما رآه شيء.

فالإيمان الحقيقي الذي يباشر القلب يجعلك تتحلى بالفضائل ولو عرفت بأنك المقصود بالقرب من الحق جل وعلا لقوله تعالى: { إياك نعبد وإياك نستعين } الآية، ما تركته ولا غفلت عنه، لأن الله لا يقبل قولاً بلا عمل، ولا يقبل قولا وعملاً بلا نية، ولا نية إلا بإيمان لقوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في البخاري ومسلم: (إنما الأعمال بالنيات)، فالإيمان هو أن تؤمن بجميع أركانه إيماناً حقيقياً تجد حلاوته في صدرك، وتؤمن بالأقوال الغيبية التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (ما فضلكم أبو بكر بصلاة أو صيام وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره). – وهو التصديق بكل ما جاء من عند الله تعالى وأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من أفعال وأقوال غيبية وبذلك نال هذه الدرجة العالية –، لأن الإيمان يقوم بتطهير القلب من المساوئ والعيوب حتى يقع فيه نور الإيمان نور الحق الذي عرف خالقه به فوقر ذلك

النور في قلبه فصــدقه وآمن به وبما جاء من عنده وأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالإسلام يقوم بتطهير الإنسان من الخارج وبتطهير الجوارح الظاهرة من الذنوب وتحليته بطاعة علام الغيوب، والإيمان يـأتي مكملاً بتطهيره من الداخل حتى يرتقي بـه إلى درجـة الإيمان فيقوم بتطهير القلوب من المســاوئ والعيوب والحقد والحسـد وسـوء الظن وجميع أنواع الأذى كالتجريح والطعن وتكفير المســلمين وغير ذلك من الأذى. فإذا تحققت ســلامة القلب من ذلك انشرح قلبك بنور الإسلام والإيمان وأضاء ذلك التحقيق من القبول بالسكينة والطمأنينة ببشارة الرضا من الله جل جلاله، وإذا صح رضاك عنه فقد أوجب ذلك الرضا، رضاه عنك ...

وذكر في معالم الطريق إلى الله بقولـه : ((إذا تحقق الكمال المقدس لله عز وجل في قلبك بأنـه هو الذي يعطى ويمنع ويخفض ويرفع ويوصل ويوفق ويخذل ويشقيِ ويسعد ويغني لا شريك له في ملكه ولا سلطان يعلو على سلطانه ، فعطاؤه فضل ومنعه عدل لقوله تعالى: { قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا * هو خيرٌ مما يجمعون } الآيـة ، فإذا كنت كذلك

امتلئ قلبك شـــوقاً إليه وتحرك لســـانك بذكره وتحركت جميع أجزاء جسمك وجوارحك إلى طاعته وخشعت سائر الجوارح له في محبته لقوله تعالى: { يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ } الآية، ولقوله: (رضي الله عنهم ورضوا عنه)، وبذلك التفكر ارتقى بك إلى المعرفة بالله سبحانه وتعالى فأشرقت أنواره على بصيرتك وانقشع غبار الشهوات وحب الدنيا من قلبك، وانجلت مرآة بصيرتك فأصبحت حينئذٍ ترى بنور الله ما لا تراه العوام، فإذا كان ذلك في قلبك نطقتَ حينئذٍ عن الله، وإذا بطشـــت فبالله، وإذا تحركت فلله، وإذا سكتَّ فمع الله، فأنت في جميع أحوالك لله وبالله وعن الله وفي الله ومع الله، وإذا وصـــلت إلى ذلك المقام فحينئذٍ تفهم سر قوله في الحديث القدسي: ((ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما فرضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت ســـمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)) أهـ .

فأقول إذا أراد الله هداية عبده وارشـــاده أنار الله له الطريق وأمده من عنايته موصـــولاً بكرامته حتى ينال ثمرة الإيمان

بقلبه وعقله وجوارحه ويكون منه مبدؤه وإليه مرجعه لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله، فقيل كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال: يوفقه الله لعمل صالح قبل موته، فإذا تحقق ذلك فقد أقبل الله تعالى بإحسانه عليك حتى تُقبل بقلبك عليه، وبذلك تكون قد علمت يقيناً بأن الله هو الذي وجهك إليه، وعرّفك به، ووفّقك للعمل الذي أراده الله تعالى أن يقربك منه، وثبّتك على تحمُّل مشاق السير إليه وتحمُّل الأذى من خلقه حتى يمكِّنك من القرب منه وصرت عبداً مخلصاً خالياً من العيوب ؛ هذا هو نور الإيمان الموصِل إلى درجة الإحسان والتي هي درجة كمال العبودية للمتقين والأبرار والصادقين من عباده الصالحين الذين أنار الله قلوبهم بنور الإيمان وبشائر الإحسان حتى انطبعت أقوالهم وأفعالهم بذلك الإيمان ببواطنهم وظهرت عليهم ثمراته قلباً وقالباً فكانوا من المحسنين ومن عباده المقربين ، ومن ثمرات ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الورع الذي جمعه في كلمةٍ واحدة فقال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، فكانوا سامعين طائعين راكعين ساجدين ولربهم خاشعين، وكانوا لا يرجون أحداً غيره لأنهم رأوا أن الخلق لا يملكون

لأنفسهم ولا لغيرهم موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ، فهم لا يحبون غيره ولا يرون محسناً إليهم على الحقيقة سواه لقوله تعالى: { الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصـــلاة وآتوا الزكاة وأمروا بـالمعروف ونـهوا عن المنكر ولله عـاقبـة الأمور } الآية.

واعلم بأن البعد عن الله والإقبال على غيره والإنشـــغال بما ســواه والتخلُق بالرذائل التي نـهى الله تعالى عنـها هي ســبب المعاصـــي وارتكـاب المحرمـات وإطفـاء نور القلـب من نور الإيمان وفســـاد الجوارح من القيام بعمل الأركان، فالبعد عن الله تعالى يكون ســـببا لارتكاب المعاصـــي، والخوف من الله تعالى والمجاهدة بالأعمال الفاضـلة تقربك إلى الله تعالى لقوله تعالى: { هدىً ورحمة للذين هم لربهم يرهبون } الآية ، وقال عبدالله بن المبارك :-

رأيت الذنوبَ تميت القلوب

وقد يورث الذُّلُ إدمانُها

وترك الذنوب حياة القلوب

وخيرٌ لنفسك عصيانُها

وقال صاحب كتاب "معالم الطريق إلى الله": (إذا كان الإسلام تسليماً وإذعاناً لأوامر الله ومتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الإيمان كفاحاً للتقرب إلى الله تعالى صادقاً يباشر القلب والروح، فإن الإحسان هو التحقق بكمال العبودية لله عز وجل.

فالإيمان الصحيح له أمور أربع هي: حسن القصد، وصحة العقد، والوفاء بالعهد، واجتناب الحدود؛ فحسن القصد هو: أداء العبادات بالنية والإخلاص، وصحة العقد هو: صحة النطق بالشهادتين بالقلب إعتقاداً وباللسان نطقاً – والعقد أيضاً هو صحة الإيمان بما فرضه الله تعالى عليك وأوجبه –، والوفاء بالعهد هو: اجتناب المحرمات وصدق الوفاء بذلك، واجتناب الحدود هو: اجتناب الحدود المحرَّمة لقوله تعالى: { ما آتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب } الآية)) أهـ .

فالإيمان عبادة وعمل بتقوى الله تعالى في القلب قبل عمل الجوارح، وذكر صاحب المستخلص في تزكية النفوس: ((هناك أربع أشياء ينبغي التركيز فيها وهي:

١-اخلاص النية حتى يخلص العمل لله وحده ولا يشـــوبه شـــيء مما يدخل في الرغبات الخفية في النفس لقوله تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصـــين له الدين حنفاء } البينة كما سماهم الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الحاكم عن معاذ قال : (هم الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفقدوا قلوبهم مصابيح الهدى)

٢-مراقبة الله تعالى عند العمل حتى تأخذ حقك من الإحسان والإتقان عن تعبد الله كأنك تراه، و هذا مطلوب في كل عمل ديني ودنيوي للعلم بأن الله مطلع يسمع ويرى .

٣-محاســـبة النفس وهي تأتي بعد العمل كما جاء في الحديث: (الكَيِّسُ مَن دان نفســه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز مَن أتْبَعَ نفسَــه هواها وتمنى على الله الأماني) أخرجه الترمذي وغيره من علماء الحديث .

٤-التوكُّلُ على الله تعالى لأنه الســـلاح الروحي الذي يجعل من الضـــعف قوة ومن القلة كثرة، وهو الذي واجه به رسل الله طغاة أقوامهم ولم يخيفهم طغيانهم .)) أهـ .

فعلى العبد أن يكون إيمانه إيماناً صادقاً على معاني الإسلام والإيمان والإحسان، مؤمناً بربه وما جاء به رسوله، وعليه أن يعلم بأن الله تعالى لم يخلقه عبثاً وإنما خلقه للعبادة حتى يكون من عباده الصالحين الذين اختصهم الله بعنايته، قال الله تعالى: { تتجافى جنوبهم عن المضاجع } الآية، وقوله تعالى: { ذلك لمن خاف مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى } الآية؛ فمن سلك ذلك وعرف ربَّه وما في نفسه كانت أحوالُه كلُّها سعادةً في الدنيا والأخرة لقوله تعالى { والذين جاهدوا فينا لنَّهدينهم سُبُلَنا وإن الله لمع المحسنين } الآية، فالذين تتجافى جنوبهم بقيام الليل وترك النوم دافعهم هو الخوفُ من عقابه والطمع في جزيل ثوابه كما جاء عند الصابوني في مختصر بن كثير : ((في قوله تعالى:{ تتجافى }عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا جمع الله الأولين والأخرين يوم القيامة جاء منادٍ فنادى بصوت يُسمِع الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت { تتجافى جنوبهم عن المضاجع } ــ الآية ــ ، فيقومون وهم قليل) .)) أهـ .

واعلم بأن الجميع عباد الله جل جلاله ولكنه استثنى من عباده عباداً اختصَّـــهم وقرَّبهم منه وهم الذين قال الله تعالى فيهم للشيطان : { إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان } الآية ، لكن الشــيطان قال مخاطباً ربه بلســان القرآن : { إلا عبادك منهم المخلصـــين } الآية ، فانظر إلى إبليس ما كان منه مع إيمانه واعتقاده بالله تعالى في قوله تعالى { ءأسجد لمن خلقتَ طينا} الآية ، عند ذلك وصـــفه الله تعالى بالكفر بســـبب عصـــيانه وامتناعه عن العمل الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى: { إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } الآية، فجاء بعد ذلك على لســـان إبليس مخاطباً ربه في قوله تعالى: { رب فأنظرني إلى يوم يبعثون } الآية، فردَّ الله عليه بقوله تعالى: { فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم } الآية، ولإن الإيمان قولٌ وعملٌ وصـدقٌ واعتقادٌ جازمٌ ونية خالصـةٌ لذلك استحق إبليس اللعين الطرد من رحمة الله تعالى بسبب عناده وتكبره، وأما عباده المخلصـــين فهم المقربون إلى الله تعالى لأن الإيمان وقر في صـدورهم حقيقةً بصـدق التوجه إلى الله عز وجل بعزيمة وإرادة وهمَّة قوية مما جعلهم يرون كل ما ســوى الله تعالى زائلاً وكان الخوف عندهم من عذابه وعقابه

الشديد ملازماً لهم لا يفارقهم؛ لأن الخوف والرجاء وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر وعلى هذا جاء قوله تعالى: { ما لكم لا ترجون لله وقارا } الآية، أي لا تخافونه ولا ترجوه، وذكر صـــاحب ايقاظ الهمم في كتابه عن الإمام الغزالي في الإحياء قوله: ((إن فضيلة الشيء تقاس بقدر نفعه، والخوف من الله يفضي إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، ولا سعادة للعبد في لقاء الله تعالى والقرب منه إلا بتحصيل محبة الأنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر والذكر، ولا تتيســـر المواظبة على الذكر والتفكُّر إلا بانقطاع حُبِّ الدنيا من القلب، ولا يمكن ترك الشـــبهات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع الشهوة بشيء إلا بنار الخوف من الله تعالى، فالخوف هو النار المحرقة المطهرة للشـــهوة؛ لأن فضيلة الخوف يكون بقدر ما يُطَّهر من الشهوات وبه تحصل العفة والورع والمجاهدة للنفس والأعمال الفاضلة التي تقرب إلى الله زلفى)) أهـ

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :-

فلما قسا قلبي ضاقت مذاهبي

جعلت الرجا مني لعفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته

بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وما زلتَ ذا جودٍ وفضلٍ ورحمةٍ

تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

أمـا آن لنـا أن تخشـع قلوبنـا لـذكر الله تعـالى، وحين سـماع آياته حتى لا نكون مثل الذين قسـت قلوبهم فلا يعقلون موعظةً ولا تلين قلوبهم ولا يخافون من وعدٍ ولا وعيد ؟!

فأين نحن مِمَّن قال الله تعالى فيهم : { وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً } ؟ !

وأين نحن من حقيقة هذا الإيمان يا أولي الألباب ؟ !

نسـأل الله العلي القدير أن يحبب إلينـا الإيمـان ويزيّنـه في قلوبنا، ويُكرِه إلينا الكفر والفسوق والعصيان آمـيـن .

وجوب العمل بأركان الإيمان

قال تعالى: { آمن الرســـول بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون كُّل آمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله لا نفرق بين أحدٍ من رسله } الآية ،

فالإيمان بالله تعالى هو: أن تؤمن به إيماناً حقيقياً إيمان مَن وقر إيمانه بالله في قلبه لقوله تعالى: { فاعلم أنه لا إله إلا الله } الآية، فلو علمت ذلك وتحقق هذا الإيمان يقيناً في قلبك بوحدانية الله تعالى وأنه القوي القادر المقتدر على كل شيء وهو على كل شيء قدير، وأنه إلهٌ واحدٌ لا شريك له لم يخلقك عبثاً وإنما خلقك لشــيء مهم هو أن تعرف ســر حياتك وانســانيتك في الدنيا، لا لتأكل وتشــرب من رزقه وتعصــيه ! بل خلقك كي تعبده وتوحده وتتقرب منه بأداء ما فرضـــه الله عليك لقوله تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } الآية،

فلو تحقق ذلك كله يقيناً في قلبك بوحدانية الله تعالى دون شــريك له، وتفريد أحديته بأنه الواحد الأحد لم يكن له شــريكٌ في ملكه ولا والدٌ له ولا ولد ، فإن كنت كذلك يكون حقاً قد

وقر إيمانك بالله صـــدقاً وقولاً وعملاً بحيث لو خالفك أهل الأرض فيما تحقق عليه قلبك من حقيقة إيمانك بربك وخالقك فلا تجد في نفسك شكاً أو ريباً أو تردداً بما وقر وانغرس في قلبك لأن الأثر بلا مؤثر أو المصـــنوع بلا صـــانع محالٌ، مستدلاً بقول الأعرابي عندما سُئل وأجاب بالفطرة: (أن الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج وأرض ذات فجاج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير !؟) بلى !، وهنا تجد الإيمان الحقيقي الذي وقر في قلبك فيجعله يعطي بما وقر فيه أوامره للجوارح فتقوم الجوارح بالعمل بأركانه قولاً وعملاً، بما وقر في القلب وصدَّقه العمل بأنه واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله وبذلك يزيد عنده قوة إيمانه بربه تعالى.

وإذا تفكّر في خلق الســـماوات والأرض وفي نفســـه وفي اختلاف الليل والنهار وفي أســـباب موارد المعصـــية، والنظر فيما يأخذه أمِن حلالٍ أو حرامٍ، والنظر فيما يجتنيه من الأفعال والأقوال جميعاً، والنظر في توجهه الصـــادق لله عز وجل في أقواله وأفعاله الباعثة على التعرُّف إلى ذاته وصـــفاته حتى تكون خشيته وعبادته بحقيقة تفكره عبادةً صحيحةً سليمةً

ناشـــئةً على فهم بأحكام فقه الدين ليتم تطبيق ذلك على العلم المفهوم بأحكامه، ويكون قد عرف ذاته وصـــفاته فالتفكر والنظر بغير علم لا يكون، وعلم بغير عمـل كبيرة في حق الذين علموا ولم يعملوا بما علموا لقولـه تعالى: { كَبُرَ مقتاً عنـد الله أن تقولوا مـا لا تعملون } الآيـة ، وإذا علموا لا يفقهون صـــحة ما يعملون لعدم علمهم بأحكام فقه الدين، ولذلك فالناظر والمفكر فيما عرفه بإيمانه بربه وبما وقر في قلبه يكون قد فهم المدار الذي فكر فيه فيما خلقه الله تعالى لقوله تعالى: { إن في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهـار لآيـاتٍ لأولي الألبـاب } الآيـة، فهـذه الآيـة لا يكفي تطبيق مضـــمونها مجرد العبادة الســـطحية فيها فقط بل إن العارف بربه وبما وقر في قلبه يفهم المدار الذي يفكر فيه على النظر في صـــنع الله وما أبدعه وأنشـــأه في هذا الكون، وعلى ذلك الفهم الصـــحيح اســـتوعب الإيمان بالتفكر لكونه عبادة لقوله تعالى: { إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شـهيد } الآية، وبذلك التفكر واليقين بإيمانه في صـــانع الكون يزيد عنده الإيمان حتى يوصـــله إلى درجة اليقين ، كما تيقنت أو تحققت من الشـــيء الذي تراه أمامك

فيتحقق بذلك عندك الخوف من الله في سرك وعلانيتك ، وتعلم أن الله مطلعٌ عليك ويراقبك وعندها تشـــعر بقربك من الله واستحضار هيبة الله في قلبك فتزداد له محبةً وإخلاصاً .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا له من المخلصين ولأوامره مطيعين وعن نواهيه مجتنبين . آمـــــيـــــن .

الرضا بقضاء الله وقدره

الرضا: هو سكون النفس عند نزول ما قدره الله من المصائب والمكروهات والتسليم لله في قضائه، والرضا بالطاعات بفعل ما أمر الله تعالى به وترك ما نهى عنه وهذا أمر واجب لقوله تعالى: { والله ورسوله أحق أن ترضوه } الآية ، وقد ذم الله تعالى من تركه بقوله تعالى: { وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِفَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ } الآية سورة التوبة.

والرضا هو: أعلى منزلة من منازل الصبر ، وهو يتضمن الصبر وزيادة للحديث الذي رواه البيهقي وغيره إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خير كثير)) ذكره في شعب الإيمان، وقال القرطبي : ((المقصود بالمصيبة كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، يقال أصابه إصابة ومصابة ومصاباً، وقيل المصيبة هي: النكبة ينكبها الإنسان وإن صغرت، وتستعمل في الشر أيضاً)) ، ذكره في تفسيره الجزء ٢ صفحـ١٧٥ـة أهـ.

وروى ابن أبي شبية عن سعيد بن المسيب قال: ((إنقطع قبال نعل عمر بن الخطاب فقال: (إنا لله وإنا إليه راجعون) قالوا: يا أمير المؤمنين أفي قبال نعليك؟ قال نعم كل شيء

أصـــاب المؤمن يكرهه فهو مصـــيبة)) ذكره في مصـــنفه ج (٢صـ٢٦٦٥) . أهـ.

وروى سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: (من سـعادة ابن آدم رضـاه بما قضـى الله له، ومن شـــقاوة ابن آدم ســـخطه بما قضـــى الله له) رواه الترمذي (٢١٥١)، وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه، فمن رضـي فله الرضـا، ومن سخط فله السخط) رواه الترمذي (٢٣٩٦) وبن ماجه (٤٠٣١) وحسنه بن حجر في فتح الباري)) أهـ .

أقول : إذا علم الإنسان أن الرضا يشتمل على الصبر وزيادة عرفنا من النصـــوص الواردة في ثواب الصـــابرين ومدحهم تشـــتمل على مدح من بلغ مرتبة الرضـــا لقوله تعالى : { ولنبلونكم بشـــيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون} الآية سورة البقرة ،

وكما أن البكاء على الميت على وجه الرحمة به لا ينافى الرضا بل هو حسنٌ ومستحب وقد فعله النبي صلى الله عليه

وســـلم عنـدمـا قـال: (إن العين لتـدمع وإن القلـب ليحزن) بخلاف البكـاء على الميت لفوات حظـه منـه أو على ســـبيل الجزع والتســـخُّط فهذا ينـافي الرضـــا، أما الرضـــا بالفســـوق والعصـــيان والكفر وتبييت الأذى للآخرين بما لا يرضـــاه الله تعالى فقد ذم الله تعالى من اتبع مساخطه وكره مراضيه لقوله تعالى: { ولا يرضى لعباده الكفر } الآية سورة الزمر، وقوله تعالى: { إذ يبيتون ما لا يرضـــى من القول } الآية ســـورة النســـاء، ولقوله تعالى: { ذلك بأنهم إتبعوا ما أســـخط الله وكرهوا رضـوانه فأحبط أعمالهم } الآية سـورة محمد؛ لذلك فإن ترك العبد التعلق بالدنيا ولذاتها يهوّن على العبد كل ما نزل به من الكروب والمصـائب، لأن قلبه متعلق بخالقه وهذه المصـائب لا يراها شـيئاً لأنها من أعراض هذه الدنيا الفانية، وبهذا الرضـــا بِقَدَره يتحقق فيه قول النبي صـــلى الله عليه وسلم: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته، ضـرَّاء صـبر فكان خيراً له) رواه مسـلم (٢٩٩٩) ، ولقوله صـــلى الله عليه وســـلم: (ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما

الغنى غنى النفس) البخاري (٦٠٨١) ومسلم (١٠٥١) وفي هذا المعنى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فيما معناه:

(المقصود أن ما يمنع العبد من الرضا والقناعة بما قسمه الله هو طلب نفسٍ لفضول شهواتها فإن لم يحصل له مقصوده من الشهوات، سخط على قدر الله، أما إذا خرج من شهوات نفسه فإنه يرضى بما قسم الله له وبما كتبه الله عليه من الأقدار) ذكره في الزهد الكبير له (٨٤)أهـ.

فالإيمان بالرضا بما قضاه الله وقدره من خير أو شر ، فعلينا القبول بالرضا راضيين بكل ما قدره الله تعالى وقضاه .

ورحم الله تعالى من قال :-

العبد ذو ضَجَرٍ والربُ ذُو قدرٍ

والدهر ذو دول والرزق مقسوم

فعلى الإنسان أن يعمل لله باليقين والرضا التام فإن في ذلك الخير الكثير .

والرضا هو : من درجات الإحسان الذي خاطب الله فيه النفس بقوله تعالى : { يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي } الآية ، والرضا به هو من أشرف المقامات وهو باب الله الأعظم

لـرضـــــاهم بــه ورضــــــاه عنــهم لـقـولــه تـعــالـى : { رضي الله عنـهم ورضوا عنـه } الآية ، اللهم رَضى عنا وعن والدنيا وزوجاتنا وذرياتنا ولمن لهم حقٌ علينا ومن أحاطت به شـــفقة قلوبنا وجميع المســـلمين ؛ واغفر لنا وارحمنا ولا تعذبنا إنك على كل شيء قدير ، يا أرحم الراحمين آمين .

حقيقة الإحسان والإيمان

الإحســـان هو: التحقُّق بكمال العبودية ؛ والتحقق بالعبودية يكون باعثاً على مشاهدة الربوبية بنور البصيرة ، فالعبد يرى الله يقيناً بقلبه عندما ينبعث نور الله في قلبه ولا يراه بصـورة وصف من أوصاف خلقه ، لان كل ما يخطر أو يجول في البال من خيال يراد به التصـوير أو التمثيل ، والله سـبحانه وتعالى بخلاف ذلك لقوله تعالى : { ليس كمثله شـــيءٌ وهو الســميع البصير} الآية ، وإذا حصل هذا يحصل بنور القلب وهي نور البصـــيرة التي تكون على صـــفةٍ مُنزّهَةٍ تليق بكمال ذات الله سبحانه وتعالى وجلاله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عندما ســأله جبريل عليه الســلام عن الإحســان قال: (أن تعبد الله كأنك تراه) أخرجه مســلم عن عمر ابن الخطاب رضـــي الله عنه ، وذكر الإمام النووي في ذكر هذا الحديث أن يعبد الله في جميع أحواله كعبادته حال عيانه على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في تمام الخشوع والخضوع وغير ذلك؛ وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالســـة أهل العلم والصالحين ليكون ذلك له مانعاً من تلبُّسه بشيء من النقائص

احتراماً لهم واستحياءً منهم ، فكيف بمن هو مطلع عليه في سره وعلنه أهـ .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفاء: ((فهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ...إلخ – أي الى الإحسان –)) أخرجه مسلم في شرحه في كتاب الإيمان صـ١٥٨.

أقول: فعلى العبد إذا كان قائماً في عبادته أن يستشعر بأن الله تعالى يراه، ومطلع عليه حتى يؤدي هذه العبادة على أكمل وجه؛ فلو أن أحدنا - مثلاً - يرى أمامه وهو قائمٌ بصلاةٍ أميراً أو سلطاناً تراه يقوم في هذه العبادة بالخشوع والخضوع والتذلل والمراقبة على أكمل وجه في هذه الحالة نجد عبادته باطلة لأنها بنيت بهذه الصفة على الرياء – والعياذ بالله من ذلك –، فلو يستشعر رؤية الله في قلبه وهو قائم بالعبادة له تجده يستحي منه ويخاف أن يقوم بهذه العبادة وقلبه غافل عنها فيقوم بأدائها بإخلاصٍ وخشوعٍ وخضوعٍ ومراقبه لعلمه بأن الله مطلع عليه يراه في جميع أحواله وأفعاله فيؤديها

على أكمل وجه لتكون عبادته بذلك خالصـــةً لله ســـبحانه وتعالى، فيكون ذلك الإستشعار مانعاً له من ارتكاب المعاصي ولا يقدر على القيام بالعمل الســيء والنقائص مصــداقاً لقوله صــلى الله عليه وســلم : (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ومن المعروف عند أهل العلم والصالحين المتقين إنك لا تهتدي إلى الله إلا بالله تعالى ؛

فلا يُشَـــاهَدُ الله في مخلوقاته وفي صـــنعه المحكم البديع إلا بنوره المنبعث في القلب، ومن هنا يكون النور هو السر الذي أودعه الله في قلوب عباده والذي بعثه الله له في قلبه، لأنه لم يرَ الحقيقة التي وصـــل إليها إلا بهذا النور المنبعث إليه بالتجلي له من الله جل جلاله، وهنا يكون الله ســبحانه وتعالى هو الرائي له لشـــدة تعلق العبد به، ولولا هذا النور المنبعث لهذا العبد الصـــالح لم يعرف حقيقة الإحســـان والإيمان بربه سبحانه وتعالى ولم يكشف له الحجاب عن بصيرته؛ فمن قال لك في حال معرفته بربه: (إني رأيت الله بعلم الله) فقد صدق في قوله، لأنه لولا العلم الذي تعلمه وعرفه ما عرف الله ســـبحانه وتعالى، ولكن من قال لك: (إني رأيت الله بعقلي) فقد كذب لأن كل مؤمن مُسَلِّمٌ للعلم بحقائق الإسلام، وليس كل

مســـلم مؤمن كامل الإيمان لأن درجة الإيمان أقوى من درجة الإســـلام لأنها تنشـــأ من التحقُّق بالإســـلام والإنقياد بأوامره لقوله تعالى: { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسـلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } الآية ، وكذلك التحقُّق بالإيمان الغيبي وحقيقة الإحســان لا تقوم إلا على العلم اليقين الذي هو كمال الإيمان، وقد ذكر البخاري في صـــحيحه قول النبي صـــلى الله عليه وســـلم: (لو تعلمون ما أعلم لضـــحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً).

وأقول هنا: أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يعلم ما لا نعلم بالذي يأتيه من الله تعالى عن طريق الوحي لانكشـــاف الحجاب عن بصيرته – صلى الله عليه وسلم – ولذلك عبدوا الله عبادة حقيقية، وعملوا قولاً وعملاً واجتنبوا كل ما نهاهم الله عنه، وعملوا بكل ما أمرهم الله به فنالوا بذلك الدرجة العالية لعلمهم ومعرفتهم بربهم وخالقهم فمنحهم الله تعالى هذا النور الذي به شاهدوه كما قال بعضهم في ذلك :-

فإن رام عاشقها نظرةً

ولم يستطعها لِعُلا وَصْفِهَا

أعارته طرفاً رآها به

فكان البصير لها طَرْفُها

فعملوا بما أمرهم الله به وبالذي تعلموه وعرفوه حتى وقر علمهم في قلوبهم وصدقوه عملاً بجميع أركانه فنور الله به بصيرتهم ونظروا في هذا الكون المحكم صُنْعَهُ فشاهدوا الإتقان البديع والوضع المُحكَم الذي جعل فيه لكل شيء اختصاصاً وقدراً معلوماً وعدم تداخل الأشياء بعضها ببعض، وهو إتقانٌ بديعٌ معجزٌ للإنسان أن يقوم بصنعه؛ ومن خلال طول مشاهدتهم وتفكرهم العميقين في هذا الكون صاروا لا يقدمون على شيء، إلا تخيلوا رؤية الله تعالى لهم قبل القدوم عليه، وذلك لعلمهم بمراقبة الله لهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وسرهم وعلانيتهم، وقد ورد في معالم الطريق إلى الله تعالى: ((عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: (ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله)، وقوله:(ما عرفت ربي إلا بربي)، وكان الإمام عبدالله بن مسعود يقول: (لا يبلغ عبدٌ حقيقة الإيمان حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء)، وقد فسر هذه الجملة أصحابه فقالوا: (حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من

الغنى في الحرام والتواضع في طاعة الله أحب إليه من التعاظم في معصية الله ويكون ذامه وحامده في الحق سواء)، وكان حذيفة صاحب سر الرسول – صلى الله عليه وسلم يقول: (سيأتي على الناس زمان يقال فيه للرجل ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه ذرة من إيمان)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: (أربعٌ من حق المسلم على المسلم أن يعين محسنهم، وأن يستغفر لمذنبهم، وأن يدعو مدبرهم، وأن يحب تائبهم)، وفي حديث عبدالله بن عمر: (من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها، ومن تكون نيته الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع الله ضيعته وفارق الدنيا أزهد ما يكون فيها) أخرجه الطبراني ،

ومن أخلاق أهل الإسلام والإيمان عموماً: أن يكون المرء محباً للخير وأهله، ومجانباً للشر وأهله، ومسارعاً إلى ما ندب إليه من أوامر الإسلام، وعاملاً بأركان الإيمان مسابقاً إلى أعمال البر، وأن يكون طويل الصمت قليل الكلام فمن كثر كلامه قَلَّ مقداره، وأن يكون ليّن الجانب ذليلاً للمؤمنين عزيزاً على الكافرين والمتكبرين، لا يُماري بالباطل، ولا يداهن في

الدين، ولا يسكت على شيء من الحق وإن كان على نفسه، قابلاً للنصح ولو ممن يبغضه، وأن تكون سريرته أفضل من علانيته، وأن يكون حليماً وعلى أذى الخلق صابراً، ولبلائهم متحملاً ، منفرداً بحاله عنهم تاركاً الكثير من أباطيلهم خشية دخول الشبهات عليه منهم، وخوفاً من تغير قلبه لهم)) أهـ .

وقال بن القيم في صفوة الصفوة: ((الإيمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه)) أهـ .

أقول: فالإسلام والإيمان إذا اجتمعا في الإنسان، واجتمعت فيه هذه الخصال اجتمعت عنده حقيقة الإيمان؛ لأن الإسلام نطق الشهادتين باللسان، وعمل الجوارح بالعبادة، والإيمان إقرار القلب بالأركان الغيبية وبكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كان كذلك يكون حقاً وقر الإيمان في قلبه فيترقَّى من مقامٍ إلى مقامٍ إلى مقامِ الإحسان، ولا يأتي هذا الترقِّي إلا بإخلاص النية لله تعالى في جميع أفعاله وأقواله لقوله تعالى: { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون } الآية، وقوله تعالى: { فاعلم أنه لا إله إلا الله } الآية، فإذا علم بها عمل بها بكل صدق في جميع سلوكه وأقواله حتى يكون سلوكه سلوكاً صحيحاً، مراقباً جميع أفعاله

وأقواله المذمومة الشـاغلة للقلب عن ذكر الله وعبادته فابتعد عنـها، وعرف بـاليقين أن الله مطلعٌ عليـه وعلى مـا في قلبـه وسـره وعلنه فتقرَّب إلى الله تعالى، واشـتغل به عمن سـواه، قال ذو نون: (ما أزداد أحدٌ من الله قرباً إلا ازداد خشـــوعاً وهيبـة)، وقـال الجنيـد رحمـه الله: (إن الله يقرب من قلوب عباده على حسـب ما يرى من قرب قلوب عباده منه). أسـأل الله تعالى أن يرزقنا حبه وحب كل عمل يقربنا إلى حبه ويغفر لنا ولوالدينا وذرياتنا وزوجاتنا ولمن لهم حقٌ علينا ولجميع المسلمين آمين .

الرياء

الرياء هو: طلب المنزلة عند الناس، وقصد ذلك بعمل صالح سواءً كان ذلك العمل ظاهراً للناس أو خفياً عنهم، و هذا أصعب لأنه أخفى من دبيب النملة كما في الحديث، وقال بعضهم: ((ينقسم الرياء إلى عدة أقسام وأعظمها: – أن يقصد بعمله الخلق ولولاهم لم يعمل – أن يعمل للمدح والثناء ولو لم يعلمه الناس لما فعل.

والله سبحانه تعالى يقول: { والعمل الصالح يرفعه } الآية، ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي إلا العارفون الموحدون لله تعالى لأن الله طهَّرهم من الشرك، وغيَّب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول منفعة، ولم يخافوا منهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة لوجه الله وإن عملوها بين أظهر الناس.

ومن لم يُحظَ بهذه المكانة وشاهد الخلق، وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار بدون الله فهو مراءٍ بعمله وإن عَبدَ الله في أعلى جبلٍ)) قاله ابن عباده أهـ .

واعلم أنه إذا خصك الله تعالى بخصوصية من خصوصية خواصِّه كزُهدٍ أو وَرَعٍ أو توكُّلٍ أو رضىً أو تسليمٍ أو محبةٍ أو يقينٍ في القلب أو معرفةٍ أو أظهر على يديك كرامةً حسيةً أو معنويةً، أو مواهب كسبية أو لدُنِّية، وتمنيت أن يعلم الخلق ويطلعوا على خصوصيتك التي خصك الله بها، فذلك دليل على وجود الرياء الخفي في باطنك، ودليلٌ على عدم صدقك في عبوديتك.

أما لو كنت صادقاً في عبوديتك لأكتفيت بعلم الله وأقتنعت بمراقبته إياك واستغنيت به عن رؤية غيره لكنت صادقاً حقاً في عبوديتك.

ذكر في "لطائف المنن": ((أن مبنى الولي الذي بنى نفسه عليه هو على الإكتفاء بالله، والقناعة بعلمه، والاغتناء بشهوده له، لقوله تعالى: { ألم يعلم بأن الله يرى } الآية، وقوله تعالى: { أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد } الآية، وهنا جعل أولياء الله تعالى سبيل أمرهم في بدايتهم الفرار من الخلق، والانفراد بالله الحق وإخفاء الأعمال، وكتم الأحوال تحقيقاً لفنائهم وتثبيتاً لزهدهم، وعملاً على سلامة قلوبهم من الرياء)).

وقال ســـهل بن عبدالله: (لا ينال العبد حقيقته من هذا الأمر، حتى يســقط الناس من عينه فلا يرى العبد في الدارين إلا هو – أي الله –)، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم – في وصـــيته لابن عباس قال: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا ســألت فاســأل الله، وإذا اســتعنت فأســتعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشــيء لم ينفعوك إلا بشـــيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضـــروك بشـــيء لم يضـــروك إلا بشـــيءٍ قد كتبه الله لك جفت الأقلام وطويت الصـــحف). أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم وخاليةً من الرياء، إنه سميعُ الدعاء آمين .

العلم النافع ونتائجه

اعلم أن العلم النـافع هو: العلم الـذي يقـارنـه الخوف من الله والخشـــية والورع قال تعالى: { إنما يخشـــى الله من عباده العلماء } الآية، أي أن العلماء يخشــون الله ويخافونه لعلمهم بما عرفوا منه ما يضـــرهم وما ينفعهم، وبعلمهم هذا عرفوا الله فأتمروا بأمره واجتنبوا مانهاهم عنه، فإذا أردت أن تعرف منزلتك عند الله فانظر منزلة الله عندك؛ فإن كان تعلُّقك بربك واهتمامك بما يرضـــيه، وكراهتك لكل ما يكرهه، وعلمت أن الله مطلع عليك ويراقبك، وجعلت هذه المراقبة نصـــب عينيك فتتقي بذلك الرذائل والمحرمات، وجعلت قلبك خالياً من أي تعلق بالدنيا وصـيرته محلاً خاصـاً لله عز وجل لا يتعلق بأحدٍ سواه سبحانه وتعالى، فلا يكون القلب مشغولاً بأحدٍ من الخلق سواه، فإن كانت منزلة الله عندك كذلك فقد عرفت منزلتك عند الله عز وجل، ومن عرف الله عاش ســـعيداً، ومن طلب الدنيا عـاش مهمومـاً يريـد الزيـادة وإذا جـاءت الزيـادة خـاف على نقصانها وهكذا يعيش حياته.

ومن العلم النافع: الحذر من أن تُعيِّر أحداً ببلية ابتلاه الله بها، فيشفيه الله ويبتليك بمثلها، أو تذكره مخاطباً إياه بشيء لا يرضاه، أو تزدري أحداً من الناس أو تستهزِأ به، والحذر من السخرية من الآخرين لقوله تعالى: { ولا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم } إلخ الآية، وعدم الإفراط في الضحك أي لا تكثر الضحك، فإنه يذهب الهيبة ولا يكثر الفرح فإنه يجلبُ إلى قلبك الغم.

فالعلماء عرفوا الله حقيقةُ عندما عرفوا بأن الله مطلع عليهم أينما كانوا فاستحيَوا من الله حق الحياءِ أن يراهم في مكانٍ نهاهم عنه، ولا يراهم في المكان الذي أمرهم به؛ فخافوا غضبه، وتأدَّبوا معه حتى أصبحوا لا يقولون إلا أحسن القول ، واستقاموا كما أمرهم خالقهم، وأخلصوا له العمل فشرح الله صدورهم وأنار قلوبهم، لأن العلم النافع له نورٌ ينبعث منه شعاعٌ إلى القلب فيكسبه الزهدَ، والورع، والخوف من الله، والخشية والتسليم له والهيبة والحياء منه، وينزع من قلوبهم خوف المخلوقين، فالعلم الذي تقارنه الخشية والخوف والورع هو العلم النافع.

وعندما عرف أهل العلم بأن الله قد أهان الدنيا وجعلها حقيرة ذليلة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر أصحابه من فتنتها، وأن الله لم يرضها لأوليائه المتقين، تركوها لأهلها، وأكلوا منها اقتصاداً وفضلاً، وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهيهم عن الآخرة، وأكلوا منها ما يسدُ جوعهم، ونظروا إلى الدنيا بأنها فانية، وإلى الآخرة بأنها الباقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب، وعمروا آخرتهم بالعمل الصالح، وكل ذلك كان بتوفيق الله جل جلاله لهم، فتعبوا في الدنيا قليلاً لكنهم سيتمتعون بالنعيم الدائم في الآخرة طويلاً طويلا...

وأما العلم الذي لا تقارنه الخشية والورع فهو علمٌ غيرُ نافعٍ يكون وبالاً على صاحبه؛ كونه حجة عليه لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل، وقال الإمام الغزالي في "لطائف المنن": ((فشاهد العلم الذي هو مطلوبٌ لله من عباده: هو الخشية لله، وشاهد الخشية موافقة الأمر.

أما علمُ مَن تكون معه الرغبة في الدنيا فما أبعده من أن يكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام، فمن كان عنده علمٌ وهذه أوصافه في الرغبة للدنيا كان كمثل الشمعة التي تضيئ لغيرها وهي تحرق نفسها)) أهـ

اعلم أن من كان عنده علم وهو محب للدنيا ولذَّاتها راغبٌ فيها، وصارفٌ همَّته لاكتسابها من جمعٍ وادخار وغيرها من الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة أنَّى يكون من ورثة الأنبياء وهذه أوصافه ؟!

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول فيما يرويه علي رضي الله عنه: (من ازداد علماً ولم يزدد من الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً) أخرجه الديلمي، ومَن كانت هذه أوصافه من حب الدنيا ولذاتها كان هذا العلم الذي عنده حجةً عليه وسبباً للتعرض لعقوبة الله، لأن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، ولا حباً للدنيا ولذاتها وشهواتها، مع نسيان الآخرة، بل ورّثوا العلم الذي يُطَهِّرُ قلوب العباد من الرذائل، ويحلِّيها بالفضائل، ويُعَرِّفهُم على مَن خلقهم، والسبب في وجودهم، وما يضرهم وما ينفعهم؛ حتى يُقَرِّبَهمْ إلى ربهم ويشغلهم بعبادته وحبه عمن سواه، ((ولذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه جابر رضي الله عنه: (أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى، وطول الأمل)؛ فاتباع الهوى هو: أن يضل عن الحق، وطول الأمل هو: نسيان الآخرة والله سبحانه وتعالى

يقول { ولا تتبعِ الهوى فيضلك عن سبيل الله } الآية، أخرجه ابن المنكدر)) أهـ

واعلم بأن العلم النافع له نورٌ يَشْرحُ الصدرَ ويُشعُّ فيه، فتنشأ منه حلاوة الإيمان ومخافة الله والهيبة والحياء منه، فهذا هو العلم الذي ورّثوه الأنبياءُ لنا، ونؤكد ذلك بهذا المشـهد الرائع لبلال رضـي الله عنه عندما سـئل بعد تعذيبه الشـديد من كفار قريش كيف صبرت على ذلك التعذيب؟! فقال رضي الله عنه: (مزجت مرارة العذاب وحلاوة الإيمان فطغت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب) فانظر إلى صـبر هذا الصـحابي على ما لاقاه من التعذيب لأجل الإيمان بربه وقد عرف حقيقة معنى إيمانه به، فهذا هو العلم النافع الذي علّمه الرسـول صـلى الله عليه وسلم أصحابه وغرسه في نفوسهم ورباهم عليه، فكان إيماناً حقيقياً قد ترسـخ في قلوبهم ودمائهم، فهذا هو العلم الذي ورّثوهُ لنا.

فأين من كان عنده هذا العلم وهو راغب إلى الدنيا ولذاتها وراكنٌ إليها من قول عثمان رضـي الله عنه عندما قال: (إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يُعطِكموها لتركنوا

إليها !، إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنَّكم الفانية ولا تشغلنّكم عن الباقية).

تأمل هذا القول إيها الحبيب وكن من الزاهدين الراغبين إلى ربهم، ولا تكن من الراغبين إلى الدنيا الفانية وتنسى الآخرة الباقية واستعمل هذا العلم فيما يرضي ربك حتى لا يكون حجة عليك !

وأعلم بأن الشيء الموروث لا ينتقل إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند المؤرِّث. ولله در القائل :

الموت باب وكل الناس داخله

ياليت شعريَ بعد الباب ما الدارِ

الدار دار نعيم إن عملت بها

يرضى الإله وإن خالفت فالنار

هما محلّان ما للمرء غيرهما

فاختر لنفسك أي الدار تختار

فالعلم الذي ورثه الأنبياء عليهم السلام هو علم يمنع صاحبه من الغفلة، ويرغّبه في كل ما يقرّبه إلى ربه، ويكون عوناً له إلى معرفته، والقرب من ساحة رضا ربه سبحانه وتعالى .

ومن علامة العلم النافع: القناعة بعلم الله، والاكتفاء منك بنظر الله إليك عمن ســـواه، ومن ثمرة القناعة: عدم المبالاة بذم الناس أو مدحهم لك أو إقبالهم عليك أو إدبارهم عنك، حيث تكون راضــياً ومقتنعاً ومكتفياً بعلم الله ونظره إليك فيما تعمله معرضـــاً عن غيره، فإن كنت حقاً اســـتكفيت بعلم الله ونظره إليك عن غيره واســـتوى عندك الذم والمدح والادبار والاقبال من أي أحدٍ، ولم يكن لك إهتمام أو تأثرٌ بذلك لأي أحد من خلقه ســـواه، علم الله بك ونظر إليك إن كنت كذلك، فهذه أكبر نعمة من الله عليك بقوة إيمانك وبمسلكك الصحيح في توجهك إلى خالقك، وتفريغ قلبك له عمن سواه، وعليك بقول أبي بكر الصـدِّيق رضــي الله عنه عندما قال: (اللهم اجعلني خيراً مما يضنون، واجعلني خيراً مما يقولون، واغفر لي مالا يعلمون). أما إذا آلمك وأحزنك عدم إقبال الناس عليك، وذمهم لك، وإدبارهم عنك، وعدم علم الناس بما تعمله، ولم تكتفِ بعلم الله واطلاعه عليك، فمصـــيبتك بعدم اقتناعك بعلم الله وبنظره إليك أشدّ من مصيبتك بوجود الأذى منهم لك؛ بإدخال الغرور والكبر فيك والتفاخر بما تعمله من مدحهم وإقبالهم عليك، وإدخال الكراهية والحقد من ذمهم فيك وإدبارهم عنك، وذلك

لعدم اقتناعك بعلم الله واكتفائك بنظره إليك، واهتمامك بعلم الآخرين ...

فهذه الأفعال تدل على ضـــعف إيمانك وعدم إخلاص عملك لله وهذا موجب لسخط الله عز وجل والبعد عن محبته،

لأن النفس إذا ركنت إلى هذه الدنيا واكتفت بما فيها من الأهل والأصـحاب والعشـائر عن علم الله واطلاعه عليها تعذّر نقلها إلى الآخرة، وأصـبحت تكره الموت وتحب البقاء وذلك بسـبب تعلُّقها بحب هذه الحياة الفانية وما فيها.

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى ولطفه بعبده المؤمن أن يسلط عليه ما ركنت إليه روحه ونفسه بالأذى له من خلقه ويمتحنه بذلك، فإن رأت الروح أن هذا العالم ضـــيق عليها رجعت إلى مولاها، ولم يبقَ لها تشوق إلى الخلق أصلاً لما تشاهد وتلاقي فيهـا من الأذى وغيره، عنـدهـا ترجع الروح إلى خـالقهـا ويتحقق ما يريده الله في ولـيّه المؤمن من عدم تعلُّق الروح والنفس بالخلق، وحب الدنيا الفانية.

أما إن بقيت النفس الأمارة بالســـوء على ما هي عليه من السكون والركون تحت ظل الجاه والعز، وحب الدنيا فلا يمكن

لها أن ترحل من العالم السفلي إلى العالم العلوي لمعرفة خالقها والرجوع إليه بسبب ذلك الحب والتعلق.

واعلم أنه كلما زاد الأذى والبلاء على عبادِ الله من الأولياء صبروا على ذلك فإن هذا يدل على علو مقامهم عند الله عز وجل، لذلك أجر الله سبحانه وتعالى لهم الأذى على أيدي الخلق حتى لا يكونوا ساكنين بقلوبهم وأرواحهم راكنين إلى الخلق، فيعوقهم هذا السكون عن العروج إلى معرفته، ورفع علو مقامهم عندهُ وعدم السكون إلى خالقهم، ولذلك أراد الله عز وجل أن يزعجهم بكل ما في هذا العالم حتى لا يركنوا إليهم، ولا يشغلهم عن شهوده وحبه بشيء عداه؛ إذ أنه محالٌ أن تحبه وتحب معه سواه.

فإذا تمكنت المحبة من قلوب أوليائه ردّهم إن شاء إلى عباده مرشدين لهم، أو تركهم هائمين في محبته وعبادته مشغولين به هائمين فيه لا في غيره.

وذكر في لطائف المنن وفي إيقاظ الهمم: ((أن الله تعالى حَكَمَ أولياءه في بدايتهم بأن سلط الله تعالى الخلق عليهم بالأذى فَطَهَّرهَم من البقايا وكمَّل فيهم المزايا كي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا إليهم باستناد، لأن من آذاك فقد

أعتقك من رق إحسـانه، ومن أحسـن إليك فقد اسـترقَّك أي استعبدك بوجود امتنانه لك.

وقال صلى الله عليه وسلم: (من أثنى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدروا فادعو له) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه، وقال الشيخ أبو الحسن (اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم، فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك، ولأن تُصَاب في بدنك خيرٌ من أن تُصَاب في قلبك وإن رأيت عدواً تصـل به إلى الله خير من حبيب يقطعك عن الله، واجعل إقبالهم عليك ليلاً كإدبارهم عنك نهاراً، ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا فافهم)) أهـ

أقول أيها الحبيب كان تسـليط الله الخلق بالأذى على أوليائه في مبدأ طريقهم إمتحاناً لهم ليرى مدى صـبرهم على ذلك الأذى حتى يفيض الله سـبحانه وتعالى عليهم من علم معرفته لهم آخذين من قوله تعالى: { وقل زدني ربي علماً } الآية، وتلك سـنة الله في أحبابه وأصـفيائه المتقين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .

نسـأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ووالدينا وأولادنا ومن له حقٌ علينا ومشـائخنا وجميع المسـلمين من أحبابه وأوليائه

المتقِّين، وأن يطهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدته، وأن يرزقنا الفوز بالجنة والنجاة من عذاب القبر والنار ، وأن يرزقنا حسن الخاتمة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين آمين.

الحب في الله والبغض في الله

قال عليه الصلاة والسلام: (وطنوا أنفسكم على أن تحسنوا إذا أحسن الناس، ولا تُسيئوا إذا أساءوا)، وقال صلى الله عليه وسلم فيما معناه: (أتبع الحسنة السيئة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ... إلخ)، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله تعالى) .

فإذا أحببت العبد المطيع لكونه مطيعاً، أو أبغضت العاصي لله لكونه عاصياً لا لغرض آخر، فأنت ممن تحب في الله وتبغض في الله، وإذا لم تجد في نفسك محبة لأهل الخير لخيرهم، أو كراهة لأهل الشر لشرهم، فاعلم أنك ضعيف الإيمان وعليك بصحبة الأخيار، واعتزال الأشرار، ومجالسة الصالحين، ومجانبة الظالمين، قال عليه الصلاة والسلام: (المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل)، أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريره رضي الله عنه، وقال عليه الصلاة والسلام: (الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء) أخرجه الحاكم والعسكري عن أبي ذر رضي الله عنه.

واعلم أن مخالطة أهل الخير، ومجالســـتهم تزرع في القلب محبة الخير، وتعين على العمل به، كما أن مخالطة أهل الشـر ومجالســـتهم، تغرس في القلب حب الشـــر وحب العمل به، والمرء مع من أحب في الدنيا والآخرة، وعليك بالرحمة لعباده والشـــفقة على خلقه، واحذر أن تكون فظاً غليظاً، أو فاحشاً جافياً، قال عليه الصلاة والسلام: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء، ومن لا يَرحم لا يُرحم) متفق عليه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، وقال عليه الصلاة والسلام: (المؤمن ألفٌ مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) أخرجه أحمد والحاكم في المتروك عن أبي هريره على شرط الشيخين وعن جابر مرفوعاً،

وعليك بتعليم الجاهل، وإرشاد الضال، واحذر أن تدع الإرشاد قائلاً: أنا لست بأهل للإرشاد، لأنه من أخلاق الأكابر، أما إذا قلت ذلك فهذا تلبيس من الشـــيطان، فإن التعليم والتذكير من جملة العمل بالعلم، والأكابر ما صـــاروا أكابراً إلا بفضـــل الله وإرشـــادهم عباد الله إلى ســـبيل الله، وعليك بجبر قلوب المنكســـرين، وملاطفة الضـــعفاء والمســـاكين، والعطف على الأيتام، والتيسير على المعسرين، وإقراض المستقرضين

ففي الحديث: (أن ثواب القرض يزيد على ثواب الصـــدقة بثمانية أضـــعاف) أخرجه ابن ماجه عن أنس رضـــي الله عنه – لأن القرض لا يأخذه إلا محتاجٌ – فقد قال عليه الصلاة والسـلام (مَن يسَّـر على معسـر، يسَّـر الله عليه، ومن سـتر مؤمناً ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) أخرجه مسلم عن أبي هريره رضي الله عنهما، وقال صلى الله عليه وسلم: (من مسح على رأس يتيم كتب الله له بكل شـعرة مرت عليها يده عشـر حسـنات) أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

وقال عليه الصلاة والسلام في جبر القلوب:(من عزّى مصاباً – أي صبّره – كان له مثل أجره) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وإياك والشماتة في أحدٍ من المسلمين وهي: أن تفرح بما نزل به من المصـائب، لقوله عليه الصـلاة والسـلام: (لا تظهر الشـــماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك) أخرجه الترمذي من حديث مكحول عن وائلة مرفوعاً.

وأحذر أن تُعيّر مسلماً بذنب وقع فيه فإنه مَن عَيّر مسلماً بذنب لم يمت حتى يبتلى بمثل ما عَيّر به .

وإياك أن تهجر مسلماً لحضَ نَفَسِك؛ فإن اقتضت المصلحة الدينية هجره فلا تهجره فوق ثلاثة أيام قال صلى الله عليه وسلم: (من هجر أخاه فوق ثلاث فمات أدخله الله النار إلا أن يتداركه الله برحمته) أخرجه أبو داود والنسائي والبخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وقال العلماء السلام يرفع إثم الهجر، وقال بعض الأفاضل:-

يا هاجري فوق الثلاث بلا سبب

خالفت قول نبينا أزكى العرب

هجر الفتى فوق الثلاث محرمٌ

إذا لم يكن فيه لمولانا سبب

بمعنى: إنه إذا كان الهجر للتأديب الشخصي يحرم أكثر من ثلاثة أيام، أما إذا كان لإتيانه بشيء محرم يغضب مولانا سبحانه وتعالى، وقد رأيته بعينيك فلا يحرم هجره وتركه حتى يرجع إلى الحق، وقال عليه الصلاة والسلام: (من أثنى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدروا على ذلك فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه) أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي

الله عنه، وقال عليه الصلاة والسلام: (من قال لمن أسدى إليه معروفاً جزاك الله خيراً فقد بالغ في الثناء) أخرجه الترمذي.

وإياك أن تؤذي مسلماً أو تسبَّه فقد قال عليه الصلاة والسلام: (من آذى مؤمناً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) أخرجه الديلمي عن عبدالله بن جراد مرفوعاً، وقال صلى الله عليه وسلم: (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر) متفقٌ عليه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وإياك أن تلعن مسلماً أو بهيمةً أو جماداً أو شخصاً بعينه حتى تتحقق أنه مات على الكفر كفرعون، أو علمت أن رحمة الله لا تناله كإبليس، وقد ورد: ((أن اللعنة إذا خرجت من العبد تصعد نحو السماء فتغلق دونها الأبواب ثم تنزل إلى الأرض فتغلق دونها أبوابها ثم تجيئ إلى الملعون فإذا وجدت فيه مساغاً وإلا رجعت على قائلها)) ذكره عبدالله بن علوي الحداد في مجموعه .

واحذر من النميمة فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة نمَّام) متفقٌ عليه عن حذيفة رضي الله عنه، وقال صلى الله عليه وسلم: (أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة،

المفرِّقون بين الإخوان) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير.

واحذر من الغيبة وهي: أن تذكر أخاك في غيبته بما يكرهه فقد قال صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال صلى الله عليه وسلم: (الغيبة أشد من الزنا) أخرجه البيهقي والطبراني عن جابر وأبي سعيد رضي الله عنهما.

وإياك والظلم فإنه ظلماتٌ يوم القيامة ولا سيما ظلم العباد، فهو الذي لا يتركه الله، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: (أتدرون من المفلس قلنا الله ورسوله أعلم قال المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة، ويأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا فيأخذ هذا من حسناته وهذا من سيئاته، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرح على سيئاته ثم يقذف به في النار) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، فإن وقعت في ظلم أحد فبادر بالخروج منه واستحللها منه، فإن تعذر عليك رد المظالم عليك بصدق اللجوء إلى الله والافتقار والاضطرار إليه في أن

يرضـــى عنك خصـــمك، وعليك بالإكثار من الدعاء لمن ظلمته والإستغفار، بأن يغفر الله لك ما عملته بعد رد المظالم لأهلها.

وأعلم أن من نصر مسلماً نصره الله، ومن خذل مسلماً خذله الله، وقال بعض الأفاضل :-

سألزم نفسي الصفح عن كُلِ مذنبُ
وإن كثرت منه إليّ الجرائمُ
فما الناس إلا واحدٌ من ثلاثة
شريف ومشروف ومثل مقاومُ
فأما الذي فوق فاعرف قدره
واتبع فيه الحق والحق لازمُ
وأما الذي دون فأحلم دائباً
أصون به عرضي وإن لام لائمُ
وأما الذي مثلُ فإن زل أو هفا
تفضّلت أن الفضل بالفخر حاكمُ

أسأل الله العلي القدير أن يغفر لنا كل ذنب ويغفر لكل من أسأنا إليه أو أســـاء إلينا وجميع المســـلمين إنه هو الغفور الرحيم آمين.

الظلم والتهاون بالفرائض والحقوق

إن القرآن الكريم يرسم لنا صورةً مفزعةً ومرعبةً ومخيفةً عن حالة الظالمين وهم في غمرات الموت وشدائده ، والحالُ أن الملائكة يبسطون إليهم أيديهم بأنواع العذاب ويطلبون منهم أرواحهم للخروج قال تعالى: { ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم } الآية، فلو كنت ترى حين يكون الظالم في غمرات الموت وسكراته وآلامه وشدائده لرأيت ما لا سبيل إلى وصفه، ولا قدرة على إدراك حقيقته، ولو نظرت مشهد الملائكة وهم باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم الخبيثة بالعنف وبالضرب كما صوره قوله تعالى: { فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم } الآية، ولو كنت ترى هذا المنظر وهم في تلك الحالة الكئيبة والملائكة يقولون لهم أخرجوا أنفسكم مما هي فيه إن استطعتم أو أخرجوها من أبدانكم بسهولة ويسر، – ولن تقدروا على ذلك لأن الأرواح الخبيثة تتشعب في الجسم ولا تحب مفارقة الحياة – ولكن لابد من انتزاعها منها إنتزاعاً! فلو شاهدت ذلك بعينيك لهالك ذلك الأمر وأنت ترى

الملائكة تمضـــي في التعذيب الظالمين وهم يقولون لهم: { اليوم تجزون عذاب الهُونِ بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آيته تستكبرون } الآية، لأن جزاء الإستكبار هو العذاب المهين.

فهل يتصـور الظالمون والمتكبرون هذا المشـهد المرعب لو أنهم شاهدوا ذلك لأيقنوا أن المصير ينتظرهم وينتظر أمثالهم من الجبارين فيتركون غيّهم ويعودون إلى رشدهم .

ثم يأتي بعد ذلك مشـهد أكثر خوفاً ورعباً وأشـد كآبة وحزنا وهم يقفون بين يدي ربهم فيواجههم بقوله تعالى: { ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة } الآية، وهناك لا أنداد ولا أهل ولا إخوان ولا جاه ولا سلطان ولا استكبار ولا طغيان لقد عدتم كما خلقناكم من بطون أمهاتكم حفاة عراة وقد تفرق عنكم كل وما عدتم تقدرون على حمل شـــيء مما ملككم الله إياه، وتركتم كل شـــيءٍ من مال وزينة وأولاد ومتاع وجاه وســـلطان وراء ظهوركم ليس معكم شـــيء منه ولا تقدرون على الإتيان بشـــيء منه، لا قليلاً ولا كثيراً، لأن الأمر كله أصبح بيد الله سبحانه جل شأنه، وها أنتم بين يديه فما أنتم فاعلون؟! وأين ما كنتم تزعمون؟! أين ذهب الشـــركاء

والشفعاء؟! ألم يكن الأجدر بكم أن تتفكروا وتتدبروا في قدرة الله وآياته ؟!

إننا نمر في كل لحظة أمام كتاب الله الذي يخاطبنا ونحن غافلون، فلا نكاد نقف أمام خوارقه وآياته، إن القرآن ليفتح أعيننا على مشاهده الباهرة ويشير إلى وجوب تدبرنا وتعمقنا في بدائعه وآياته التي نمر عليها مستعجلين غافلين؛ ولم يعِ بعضنا قوله تعالى: { وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم } الآية.

إذ لم يبقَ بعد هذا البيان القرآني قولٌ لقائلٍ عقيدةً، أو تصوراً، أو أصلاً، أو قيداً، أو قيمةً، أو ميزاناً، بعد قول الله تعالى: { لقد تمت كلمة ربك صدقاً } الآية، فيما قاله وقرره وعدلاً فيما شرعه وهو السميع العليم يسمع ما يقوله العباد ويعلم ما وراءه ، ويعلم ما يصلح لهم وما يصلحهم.

ولهذا فإن القرآن يحذّرنا من اتباع رأي الذين يقومون على تصورات فاسدة وعقائد باطلة؛ لأنهم لا يعرفون الصلاح ولا الهدى من الضلال بسبب التصورات الفاسدة، ولأن أكثر من في الأرض لا يحكمون إلا بما تمليه عليهم شهواتهم ونزغاتهم المنحلّة لأنهم لم يسيروا على منهج شريعة الله بل استمدوا

أفكارهم وتصوراتهم الذهنية من منهج يخالف شريعة الله، ولا يملكون أن ينيروا سُبُلهم برأيٍ ولا بقولٍ ولا حكمٍ مستندٍ على الحق، لأنهم لا يتبعون طريق اليقين بل يتبعون الظن وهذا يوقع الإنسان في الضلال، حتى أصبحوا لا يعرفون الصلاح من غيره ولا الهدى من الضلال وأصبحوا يتهاونون بأداء الفرائض والحقوق ولم يؤدوها على الوجه المطلوب، وتهاونوا في تحري الحلال فصاروا يأكلون الحرام من أي مصدرٍ كان غير مبالين بعاقبته، ويعكفون على أنواع اللهو، وغيرها من المحرمات حتى أذهبوا عمرهم فيها وأفنوا أموالهم، والبعض أذهب عمره في الإحتيال والقيل والقال وكثرة السؤال، كل هذا ظهر في مجتمعنا اليوم بلا خوف ولا خجل من الله جل جلاله، وما ذلك إلا لأن الإيمان نقص عند الكثير من الناس، والإيمان يزيد في الطاعة وينقص بالعصيان.

أما علم أولئك أنهم سوف يُقْدِم عليهم ملك الموت وينقلون إلى القبور ويرون أمامهم ما قدموا إما روضةٌ من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار والعياذ بالله من النار، وأن القبر أول منزلٍ من منازل الآخرة، وإن من مات قامت قيامته

الصغرى، والأجدر أن يموت الإنسان وهو متمسك بأوامر الله، مجتنبٌ لجميع نواهيه، وتلك والله هي أفضل ميتة.

إن المؤمن إذا كان في إنقطاع من هذه الدنيا وإقبال على الآخرة تنزّل عليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، فيجلسون منه مدى بصره، ويجيئ ملك الموت ويجلس عند رأسه ويقول: (أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، ويصعدون بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوها إلى الأرض فمنها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى)، فيأتيه رجل حسن الوجه والثياب طيّب الريح فيقول له :(هذا يومك الذي كنت توعد فابشر)، فيقول: (من أن أنت؟ فوجهك الوجه الحسن) ، فيقول: (أنا عملك الصالح)، فيقول: (رب أقم الساعة)، وإذا تمت مدة المكث في هذه القبور وأذن الله بإنقضاء الدنيا وزوالها ولم يبقَ إلا الجبار جل جلاله منفرداً بعظمته وجلاله وكبريائه، يقول: (لمن الملك اليوم، فيجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار)، ثم يأمر المولى جل جلاله إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة البعث ويأمر الله ملكاً أن ينادي على صخرة في بيت المقدس: (أيتها العظام البالية

الأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء)، قال تعالى { واستمع يوم ينادي المنادي من مكانٍ قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج } الآية؛ هو يوم الخروج من القبور يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار، ويقول تعالى: { يوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون } الآية .

تأمل ذلك اليوم المهول يوم يقومون حفاة عراة فرادى كما ولدتهم أمهاتهم، إن أمر القيامة عظيم وشأنها جسيم وموعدها قريب فلماذا تتجرأ على الله بانتهاك محارم الله وارتكاب المعاصي؟! أنسيت يوم الطامة يوم الحاقة، يوم القيامة؟ وما أدراك ما يوم القيامة؟! يوم تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت، يوم تضّرع القلوب من هولها، يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يومٌ تدنو فيه الشمس من رؤوس الخلائق ويشتد فيه الحر، يوم يعظم فيه الهول، يوم ينسى فيه الحبيب حبيبه، يوم تنقطع فيه الأسباب، يوم يتبرأ فيه الأنساب، يوم يفر المرء من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، يوم يشيب فيه الولدان، يوم تضع فيه

الحوامل حملها من شـدة هوله، يوم تبدّل الأرض غير الأرض والســـموات وبرزوا لله الواحد القهار، والملائكة محيطة بهم صــفاً صــفاً { كلا إذا دكت الأرض دكاً دكا وجاء ربك والملك صـفاً صـفا وجيئ يومئذٍ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسـان وأنَّى له الذكرى } الآية، إن لجهنم ســـبعون ألف زمام مع كل زمام ســـبعون ألف ملك يجرونها ولها تغيّظٌ وزفير، وإن الصـــراط لمنصوب عليها وأنت تسير فوقه وجهنم تحته تزفر، والرسول صلى الله عليه وسلم واقفٌ عنده ويقول: (اللهم سلِّم سلِّم)، ولها كلابيب تخطف بها الناس إلى الهاوية؛ والصراط أدقُّ من الشـــعرة، وأحدُّ من الســـيف تجتازه الناس على قدر أعمالها، قال الله تعالى: { يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خير محضـراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا } الآية، فإن كنت تعلم هذا أو تســـمع فلما أقدمتَ على المعاصـــي ؟! يقول الله تعالى: { ما يُبدَّلُ القول لدي وما أنا بظلَّامٍ للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد } الآية ، ولا تنسَ الزبانية الغلاظ الشداد، والناس الذين يعذبون في جهنم ينادون ويســـتغيثون من جهنم، قد شُـــدَّت أقدامهم إلى النواصـــي واســـودَّت وجوههم من ذلِّ المعاصـــي ينادون من فجاجها من

سوء العذاب: (يا مالك قد نضجت جلودنا، يا مالك قد انفلذت منا الأكباد، يا مالك العدمُ خير من هذا الوجود، يا مالك أخرجنا من هذا ولا نعود)، فيجيبهم مالك بعد زمان: { اخسئوا فيها ولا تُكَلِّمون } الآية، لابد من الخلود أين هذا البكاء وأنتم تغشون... وأنتم تكذبون، وأنتم تخدعون، وأنتم تمكرون، وأنتم تمترون، وأنتم تستترون بالمعصية، ثم يجيبهم الله جل جلاله بقوله تعالى: { ونادوا يملك ليقضِ علينا ربك قال إنكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون } الآية، ويقول الله تعالى: { ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب * هذا بلاغٌ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحدٌ وليذكر أولو الألباب } الآية، وقال تعالى: { ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجلٍ قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل * أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال } الآية. صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم .

نسـأل الله العلي القدير أن يغفر ذنوبنا ويسـتر عوراتنا ويؤمِّن روعتنا ويرزقنا الفوز بالجنة والنجاة من النار آمين .

العزلة والمجاهدة

إنَّ العزلة في زمننا هذا مطلوبةٌ شـــرعاً وذلك لكثرة الحوادث والمشـــاكل والفتن وقد ذكر الله لنا حكاية عن ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى: { وأعتزلكم وما تدعون من دون الله } الآية ، والعزلة تكون طلباً للسلامة من شيء يخاف الإنسان الوقوع فيه ومن باب الأدب نقول:-

إن العزلة تكون طلباً لسلامة الناس من شر المرء نفسه، لا لسلامته من شرهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (خير الناس من يجاهد في ســـبيل الله بنفســـه وماله ثم رجل يعبد الله في شِـــعب من الشـــعاب ويَدَعُ النَاسَ من شـــره)، رواه أحمد والطبراني عن فضـاله ابن عبيد مرفوعاً إلى النبي صـلى الله عليه وسلم.

وفي العزلــة فوائــد مهمــة منهــا: الســـلامــة من الغيبــة والنميمة، والقال والقيل، والرياء والمنافقة مع لبعض الناس لمصـلحة ما، والأمان من ملل الأصـدقاء، وسـتر الفاقة عن العدو الشامت، قال بعض الأفاضل :-

إذا المرء لم يرعاك إلا تكلفا

فدعه ولا تكثر عليه التأسفا

ففي الناس أبدال وفي الترك راحة

وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا

فما كلُ مَن تهواه يهواك قلبه

ولا كلُ مَن صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعةً

فلا خير في خلٍ يجيئ تكلُّفا

ولا خير في خلٍ يخون خليله

ويلقاه من بعد المودة بالجفا

وينكر عيشاً قد تقادم عهده

ويظهر سراً بالأمس قد خفا

سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها

صديقٌ صدوقٌ صادق الوعد منصفا

ومن فوائد العزلة أيضاً التفرغ لخالقه والتفرغ في النظر للعلم واستنباط الحكمة، ومن أراد العزلة فينبغي أن يُحَصِّل قبلها من العلم ما يُصِحُّ به عقيدته التوحيدية كيلا يستهويه الشيطان بوساوسه، وما يصحح به فرائض الله تعالى عليه حتى يكون

قد أقام أمره على أصل محكمٍ، وأساسٍ قوي من العلم الشرعي والعلم الصـــحيح، فتكون عزلته خاليةً من وســـاوس ذكر كل شيء سوى ذكر ربه عز وجل، ثم يأخذ نفسه في عزلته تأديباً وتهـذيبـاً بمكـارم الأخلاق ومحـاســـن العـادات والعبـادات، والحاصــل أن العزلة الحقيقية عند القوم هو اعتزال الصــفات المذمومة ومفارقتها، قال يحيى بن معاذ: (مَن كان أنســـه بالخلق ذهب أنسـه إذا فارقهم، ومَن كان أنسـه بالله في الخلق اســـتوت عنده الأماكن كلها)، وقيل: (إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصـية إلى عز الطاعة آنســه بالوحدة، وأغناه بالقناعة، وبصَّــره بعيوب نفســه، فمن أعطي ذلك فقد أعطي خيري الدنيا والآخرة)، والعزلة هي دليل الســـعادة إلى الأبد لأن من خــالط النــاس داراهُم، ومن داراهُم راءاهُم، ومن راءاهُم نافقهم، ومن نافقهم اسـتحق الدرك الأسـفل من النار، بنص القرآن الكريم: { إنَّ المنافقين في الدرك الأســـفل من النار } الآية.

ولله در القائل:-

جَنِّبِ الناسَ جانباً	وارض بالله صاحبا
وَقَلِّبِ الناس كيف	شئت تجدهم عقاربا

وقال عليه الصـــلاة والســـلام: (أحب الناس إلى الله تعالى الفرارون بدينهم)، وقال أهل المعرفة بالله الخلوة صـــفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن الناس؛ وذلك لسـلامة الدين وتفقد أحوال النفس واخلاص العمل لله تعالى، فمن أراد طريق الوصول إلى روضة العشاق فعليه بالعزلة والفرار إلى الله تعالى، والطريق هو الســـلوك، وروضـــة العشـــاق هي الجنة، والعشـــاق هم المشتاقون إلى رؤية ربهم الوالِهُون في محبة الله ورسوله هم التاركون وراء ظهورهم كل ما يملكون، وقد أخلوا قلوبهم من جميع الهواجس والشـــواغل الدنيوية، وملأوا قلوبهم بأنوار ذكر الله عز وجل .

فمن أراد الوصـــول إلى هذا المقام فلا بد أن يُخلِص محبته لله عن محبة غيره، ويجتنب عن كل ما يشـــغله عن الله تعالى، ويلازم جميع ما يتعلَّق بتوحيده من الذكر وسائر العبادات، ولا يطلب منه بعمله الأجر بل يطلب رضـاه والنظر إلى وجهه جل جلاله. وقال بعض الأفاضل في قصيدة منها :-

يناديهم عبادي لا تناموا

ينال الوصل من هجر المناما

ينال الوصل من سهر الليالي

على الأقدام أنحله قياما

فما مقصودهم جنات عدنٍ

ولا الحور الحسان ولا الخياما

سوى نظر الجليل فذا مناهم

وهذا مقصد القوم الكراما

العزلة تكشف للسالك دناءة الدنيا فمن آثر العزلة سلم من آفات الدنيا وأهوالها، ويخلي قلبه من هجوم الناس في القال والقيل وإذا لم يستطع العزلة لأجل خلطة الناس، فلا بدله من وصفين؛ لقول سهل التستري رحمة الله لأصحابه: (لا ينال أحد حقيقة العزلة إلا بوصفين وهما:- الأول أن يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدار إلا خالقه جل جلاله، والثاني لا يبالي عن سقط نظر الناس مهما قالوا فيه، فمن لم يكن فيه هذان الوصفان فلابُدَّ له أن يترك الخُلطة مع الناس بشرط حفظ الجماعة والجمعة)، وعلى السالك أن يزكي نفسه عن الأمال ويزكي أخلاقه عن الرذائل المذمومة، ويقطع النظر عن المخلوقات وينظر إليها بنظر العدم بأنها كلها فانية ولا يبقى إلا الله تعالى، ويترك الكسل والشهوة والغضب والعداوة

ويلازم العِفَّة والحلم والإحســـان والمجاهدة، وترك النوم وأن يـأكـل لقيمـات يقمن بهـا صـــلبـه ليتقوى بهـا على العبـادة، والتقوى والزهد والورع ويحفظ خواطره من هواجس النفس، ولا يهتم بشـــيءٍ من هموم دنياه غير الله، كما ورد في الخبر: (إن الحكمة لتنزل من الســـماء فلا تدخل قلباً فيه هم غدٍ) ذكرها "جامع الأصول"، وعلى السالك أن يطبّق جميع أعماله على الكتاب والسنة وأن يجردِّ قلبه عن الشواغل الدنيوية، قال بعض الأفاضل :-

فلا تشتغل إلا بما يكسب العلا

ولا ترض للنفس النفيسة بالردى

وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه

ويسلم دين المرء حين توحَّدا

ويسلم من قال وقيل ومن أذى

جليس ومن واشٍ وبغض وحُسَّدا

وخير مقامٍ قمت فيه وحلية

تحليتها ذكر الإله ومسجدا

وعليه أن يشـغل نفسـه وخواطره وذهنه بمحبة لقاء الله تعالى والاشـتياق إليه، قال عليه الصـلاة والسـلام: (من أحب لقاء

الله أحب الله لقاءه)، متفقٌ عليه عن أبي موسـى رضـي الله عنه، وقال تعالى: { فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } الآية،

وقال بعض الحكماء: (سعد من لسانه صموت وكلامه قوت)؛ فالصـمت يكسـبك المحبة، ويؤمّنك المغبَة، ويلبسـك ثوب الوقار، ويكفيك معونة الاعتذار وكثرة الكلام، وقال بعض الأفاضل :-

رأيت العز في أدب وعقل

وفي الجهل المذلة والهوان

وما حُسْنُ الرجال لهم بحسنٍ

إذا لم يُسعِدِ الحُسْنَ البيانُ

كفى بالمرء عيباً أن ترى

له وجه وليس له لسان

فإن جالست العلماء أو الجهال فانصت لهما؛ فإنصاتك للعلماء يزيدك علماً، وانصاتك للجهال زيادة في الحلم، وحُكي عن أبي حنيفة: ((أن رجلاً كان يجلس إليه فيطيل الصمت فقال له أبي حنيفة:- ألا تسأل؟ قال: بلى، متى يفطر الصائم؟ قال اذا غربت الشمس، قال فإن لم تغرب إلى منتصف الليل؟ قال فتبسم أبى

حنفية رحمه الله وقال أبو حينفة آن الآن لأبي حنيفة أن يمد قدميه)) أهـ.

أقول من أراد أن يتكلم فليأت بالكلام في موضـــعه، لأن الكلام في غير موضعه لا يقع موقع الانتفاع به، ومالا ينفع الكلام به فهو هذيان لأن لكل مقام مقالاً، وعليه أن يقتصد منه على قدر حاجته ولا يكثر الكلام لقول عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه للأحنف:((من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استُخف به، ومن أكثر من شـــيء عُرِفَ به، ومن كثر كلامه كثر ســـقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حيائه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه)) أهـ

(وروي أن أعرابياً تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطوَّل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كم دون لسانك من حجاب ؟ قال: شـــفتاي وأســـناني، قال فإن الله عز وجل يكره الانبعاق في الكلام – أي كثرة الكلام – فنضَّر الله وجه أمرئٍ أوجز في كلامه فاقتصـــر على حاجته) أخرجه أبو داود وابن حبان في صـــحيحه، وقال عمر بن عبدالعزيز: (من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه)،

وقال بعض الأفاضل :-

تكلَّم وسدِّد ما استطعت فإنما

كلامك حيٌّ والسكوت جمادُ

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله

فصمتك عن غير السداد سدادُ

وأعلم أن الإكثار في الكلام وإن كان صـــواباً أحياناً يمل منه السـامع فكلام المرء بيان فضـله وترجمان عقله فاقتصـر منه على القليل، وإياك ما يسـخط سـلطانك، ويوحش إخوانك، فمن أســخط ســلطانه تعرَّض للمنيّة، ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية، وقال النبي صـــلى الله عليه وســـلم: (أبغضـــكم إليّ المتفيهقُ المكثارُ والمُلِحُّ المهدارُ)، أخرجه الإمام مسلم.

وقال بعض الأدباء: (من أطال صـــمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما يضره) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم:(أنه قال لعمه العباس يعجبني جمالك، قال: وما جمال الرجل يا رســـول الله، قال: لسانه)، أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق أبي جعفر بن علي ابن الحسين عن أبيه.

فعلى الســالك أن يختار اللفظ الذي سـيتكلم به حتى يسـلم وإلا فالصـــمت خير له مِن منطقٍ يزل القدم ويورث الندم، ومَن

تخلَّق بالأخلاق الحميدة والصفات الجميلة النفسية والعقائد الصحيحة وجب عليه أن يتخلص من الأخلاق الرذيلة والصفات الذميمة والعقائد الفاسدة الوخيمة ونحوها، قال تعالى { وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين } الآية .

فالعزلة تصحِّح القصد على الطلب، وتجمع على بلوغ الأدب، وتقوّي التوجه إلى حضرة الحق، وتورث اليأس من الخلق، وتُسلِّم من آفات الدنيا وأشرارها، وتخلص قلبك من هجوم الخواطر والأغيار فإن الخواطر تورث الهموم والأوهام، وتنفي الحكمة عن القلب المهموم، وذكر جامع الأصول: ((أن أكمل المرشدين صلى الله عليه وسلم قال: (إن الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلباً فيه هَمٌّ غدٍ) صدق رسول الله)) أهـ

ومتى انتفى منك هذا الهم صرت أشفق على مخلوقات الله من الأب والأم، وانفتح لك باب معرفة اليقين وعلمه؛ روى أحد الصالحين: ((سألت أحد العارفين المنقطعين إلى الله: (كيف الطريق إلى التحقيق؟ قال العارف بالله: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة، قلت: لا بد لي ...! قال العارف: فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة، قلت: لا بد لي... ! قال

العارف: فلا تعاملهم فإن معاملتهم خسران وحسرة، قلت: أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم، قال العارف: فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة، قلت: هذه العلة تكونُ، قال العارف: يا هذا أتنظر اللاعبين، وتسمع كلام الجاهلين، وتعامل البطالين، وتسكن إلى الهالكين، وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله؟! هيهات هذا لا يكون أبداً! ثم غاب عني)).

أسأل الله العلي العظيم أن يفتح علينا فتوح العارفين، ويغفر لنا أجمعين، وأن يقبلنا ويقبل منا ما عملنا، ويجعلنا من عباده وأحبابه الصالحين آمين .

الذكر وفضائله

قال تعالى: { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر } الآية، وقال تعالى: { يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلاً } الآية، وقال عليه الصلاة والسلام: (خير الأعمال ذكر الله تعالى) أخرجه ابن ماجه والحاكم ووافقه الذهبي عن أبي الدرداء رضي الله عنه وكذا الترمذي .

فالذكر هو أساس الوصول إلى الله ولا يصل أحد إلا بدوام ذكره، لأنه مأمورٌ به وثابتٌ بالأدلة المذكورة في الكتاب والسنة، وقال تعالى: { فاذكروني أذكركم } الآية، وقال تعالى { الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم } الآية، وقال عليه الصلاة والسلام: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها، قيل يارسول الله: وما رياض الجنة ؟! فقال: مجالس الذكر) أخرجه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس والطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال عليه الصلاة والسلام: (من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث

أنزله العبد من نفســـه)، والذكر غير مؤقت بوقت بل العبد مأمورٌ به في كل وقت باللسان وبالقلب، وذكر جامع الأصول: ((إن الله أوحى إلى داود عليه وعلى نبينا الصــلاة والســلام: بي فافرح وبذكري فتنعَّم)).

واعلم أن الذكر ثلاثة أنواع كما تعلَّمناه وعرفنا حلاوته في قلوبنا بتحريك الجوارح عند اشــتغال اللســان والقلب والعقل واســتحضــار ذلك الذكر فينا بأننا بين يدي الله وأن الله يرانا فوجدنا هذا الاشــتياق إلى رب العباد بهذه الرؤية التي جعلت في قلوبنا ولم يكن فيها ســواه، وعلى هذا قسَّـمُ العلماء الذكر إلى هذه الثلاث اقسام فقالوا رحمهم الله تعالى.

الأول: ذكر باللســان مع غفلة القلب ويسـمَّى ذكر العوام؛ وهو الذي يذكر الله وهو غافل لاهيٌ وجاهلٌ للمعنى يقوله مجرد ذكر باللســان وفي قلبه غيره، وهذا ثمرته العقاب هو حرمانه من الثواب بسبب غفلته.

والثاني: ذكر باللســـان مع حضــور قلبه لخالقه، و منه تأتي الخشـــية والخوف من الله تعالى فإذا أتى الخوف ودخل قلبه دمعت العين، وأتى من العبد الرجاء والمناجاة مع خالقه وهذا

يسمى ذكر العبادة، وهو ذكر الخواص الذي أراد الله تعالى أن يختصهم لعبادته، وثمرته قبولهم والثواب العظيم لهم.

الثالث: ذكر بجميع الجوارح مع استحضار خالقه بأنه يراه ويسمعه ويعلم ما يقوله، فتتحرك بذلك الجوارح خشيةً وخوفاً ورجاءً لوجود خالقها فيها ولم يكن أحدٌ سواه فيها، فيكون ممن قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، وهذا الذكر يسمى ذكر محبة العارفين المشتاقين لربهم وخالقهم، ومعنى هذا الذكر وحقيقته أن تذكر الله تعالى وأنت ناسٍ لكلِ شيءٍ سواه، وثمرته لا يمكن التعبير عنها، ولا يعلم قدره إلا الله تعالى، لأنه الذاكر عرف بأن العبد لا ينبغي أن يثق بعافية ولا بغنىً ولا بحالة تسرُّه غير الله تعالى؛ فحينما يكون العبد معافىً تراه مبتلىً، وحينما يكون العبد غنياً تراه فقيراً، وحينما يكون العبد ضاحكاً تراه باكياً، وحينما يكون العبد مسروراً تراه حزيناً، وحينما يكون العبد حياً تراه ميتاً! هذا هو حالهم ولا يجازيهم عليه إلا خالقهم، وقد تعسَ من وثق بغير الله أو ركن لشيء سوى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم: (أفضل الذكر لا إله إلا الله) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وجاء في

الحديث القدســـي عن الله عز وجل أنه قال: (لا إله إلا الله حصـــني ومن دخل حصـــني أمن من عذابي)، وكما جاء في الحديث يقول الله تعالى لملائكته: (قربوا مني أهل لا إله إلا الله فإني أحبهم) أخرجه الشـــيرازي في الألقاب عن علي رضـــي الله عنه، وقال عليه الصـلاة والسـلام: (لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلُص إليه) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضـي الله عنه، وقال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: { قُلِ الله ثُمَّ ذرهم في خوضهم يلعبون } الآية، وفي الحديث يقول الله جل جلاله: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه) أخرجه أبو يعلى وغيره وصححه ابن حبان وأبو عوانه عن ســـعيد ابن أبي وقاص رضـــي الله عنه، والذكر الخفي أفضـــل لقوله تعالى: { واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفيةً ودون الجهر من القول } الآية، ولقوله صـلى الله عليه وسـلم: (خير الذكر الخَفِيُّ) أخرجه الترمذي عن ابن عمر رضـــي الله عنه؛ لأن الذكر الخفيَّ أخلص لله، وأبعد عن الرياء، وذكر القلب يضـاعف بسـبعين ضـعفاً على ذكر اللسان قال عليه الصلاة والسلام: (الذكر الذي لا تسمعه

الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة بسبعين ضعفاً) أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان".

فمن ذكر الله على الحقيقة نسي حال ذكره كلَّ شيءٍ سواه، قال بعض الأفاضل:-

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة

وأيسر ما في الذكر ذكر لساني

فلما أراني الوجد أنك حاضري

شهدتك موجوداً بكل مكان

فخاطبت موجوداً بغير تكلُّم

ولاحظت معلوماً بغير عيانِ

وقال عليه الصلاة والسلام: (ذكر الله شفاء القلوب) أخرجه الديلمي في الفردوس، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: (غنيمة مجالس الذكر الجنة) أخرجه أحمد والطبراني، وقال عليه الصلاة والسلام: (لو أن رجلاً في حِجْرِهِ دراهم يقسِّمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل) أخرجه الطبراني في الأوسط .

أقول عليك بالذكر للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وتمسَّك به وداوم عليه تجد البركة والغنى، وأقرع باب الذكر بالافتقار واللجوء إلى الله مع ملازمة الأدب والتوبة والاصلاح والاخلاص والاعتصام بالله، قال تعالى: { إلا الذين تابوا وأصلحوا وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين } الآية، ولم يقل جل جلاله من المؤمنين فافهم ذلك، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها) أخرجه الطبراني والبيهقي، وقال عليه الصلاة والسلام: (مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحُّف بهم الملائكةُ، وتغشاهمُ الرحمةُ، ويذكرهم الله في عرشه) أخرجه في الحلية، وذكر ذم المنافقين بقوله تعالى: { ولا يذكرون الله إلا قليلا } الآية، وقال تعالى: { ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكا } الآية، وقال تعالى: { فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله } الآية، وقال تعالى: { ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا } الآية، وفي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آلا

أنبؤكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من انفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى يا رسول الله قال: (ذكر الله) أخرجه الترمذي .

واعلم أن الذكر هو أشرف العبادات وأفضلها وأكملها من حيث تصفية القلوب وتزكية النفوس بعد أداء فرائض الله الموجوبة على العبد، ولو أن العابدين والسالكين اشتغلوا بجميع العبادات في جميع أوقاتهم بدون الذكر لم يحصل لهم تصفية قلوبهم وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم.

لأن الذكر عمل جامع لأحوال القلوب. واسرار القرب من مقامات اليقين لأنه تيقَّن بقلبه يقيناً صادقاً بسرِّ علم ما يقرؤه لقوله تعالى: { لو تعلمون علم اليقين } الآية، ولما اشتغل السالكون بذكر الله بعد الفرائض حصل لهم الكثير من الأسرار بسبب الذكر، لأن للذكر آداباً كثيرة وذُكِرَ منها في كتب الصالحين عشرون أدباً منها: التوبة وحقيقتها: ترك العبد ما لا يعنيه قولاً وفعلاً، والوضوء والسكون حتى يحصل له الصدق فيه وهو: أن يشتغل قلبه بالله فكراً دون السان حتى لا يبقى فيه خاطر مع الله، ثم يوافق اللسان القلب معاً بلفظ لا إله

إلا الله أو غيرها من التسبيح أو التكبير أو التهليل أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يجلس في مكان طاهر كجلوسه في الصلاة، والصدق في الذكر بأن يستوي عنده السر والجهر، والإخلاص في الذكر حتى ينال درجة الذكر؛ لأن الذكر هو ركن الطريق ومفتاح التحقيق وسلاح المريد ومنزلة العابد عند الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي قال تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ...إلخ) متفقٌ عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي حديث آخر: (أنا جليس من ذكرني) أخرجه البيهقي عن اسماعيل بن عبدالله رضي الله عنه، فما بالك بمن كان الله جليسه وهذه مزية للذكر خاصة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ذكر الله شفاء لا يضر معه داء وذكر الناس داء لا ينفع فاجعل ذكر الله قبلة همّك واضاءة مسجد فكرتك)، وذكر الرفاعي في كتابه حالة أهل الحقيقة مع الله أنه: (يجب على الذاكر أن يذكر الله على غاية من التعظيم والحرمة لا على غفلة، قيل لذى النون المصري متى يكون ذكر الله للعبد صافياً قال إذا كان به عارفاً وممن دونه متبرئاً)، وذكر صاحب ايقاض الهمم أنه: (ما من يوم إلا ولله فيه نعيم

ينعم الله به على عباده وما أنعم الله على عبد أفضـــل من أن يلهمه ذكره) وعلى الذاكر المريد أن يختار من صـــيغ الذكر "لا إله إلا الله" (فمن قال لا إله إلا الله مخلصـــاً دخل الجنة) كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، فمن واظب على ذكرها على الوجه الصحيح، وفهم معناها تحصل له منها فوائد كثيرة ومنافع عظيمة منها: الزهد، وفراغ القلب من الثقة بالشـــيء الزائل، ونهي النفس عن التعلُّق بما هو زائل والتوكل بحيث يجعل ثقته بمسبب الأسباب ولا يقدح في توكله تلبس بغيره، والحياء من الله وعظمته في قلبه بدوام ذكره والتزام أمره واجتناب نهيه، والغنى هو: غنى القلب بسلامته من الفتن، والفقر هو: نقص تعلق القلب من الدنيا، والايثار لغيره على نفسه، والشكر هو: انفراد القلب بالثناء على الله برؤية النعم كوضع البركة له في الطعام ونحوه.

ومن جملة ما يجب أن يُصفَّى بها القلب عند ذكر كلمة التوحيد أن يكون قصده بذكره رضى مولاه الذي لا غنى لأي مخلوق عنه فيكشـــف له الحجاب عن قلبه حتى يتنزه في ذلك الجمال عديم المثال، ويرزقه مولاه بعجائب وأســـرار لا يمكن التعبير عنها بمقال، وعلى الذاكر أن لا يغضب على أحدٍ؛ لأن الغضب

يميت نور الذكر، وأن يترك المناظرة والمجادلة مع طلب العلم؛ لأن المناظرة تورث النسيان والكدر وإذا وقع منه الغضب والمجادلة مع أحد يستغفر الله تعالى ويطلب منه العذر وإن كان محقاً، ولا ينظر إلى أحدٍ بنظر الاحتقار بل يظن أنه خيرٌ منه وأنه رجل صالح أو ولي من أولياء الله فيطلب منه الدعاء، فعلى العاقل أن يعمل بما يبعد نفسه عن ذلك ويسعى في فكاك رقبته من النار، قال عليه الصلاة والسلام من قال: (لا إله إلا الله سبعين ألف مرة حرم الله عليه النار) ذكره جامع الأصول في حديثه عن الذكر، وفي حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله)، وفي حديث الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة على طهارة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار)، ثم قال صاحب جامع الأصول: (وعليه الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه) وفي حديث البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من نام على يمينه في فراشه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب : يا عبدي أدخل على يمينك الجنة).

وقال الفضـــيل رحمه الله: (من علامة الشـــقاء؛ القســـوة في القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة في طول الأمل) .

اللهم إنَّـا نعوذ بـك من عـذاب القبر، ومن عـذاب النـار ومن أهوال يوم القيامة، ونعوذ بك من قلبٍ لا يخشـــع، وعينٍ لا تدمع، ونفسٍ لا تشـــبع، ودعوة لا يســـتجاب لها، ومن علم لا ينفع، ونســـألك اللهم علماً نافعاً ورزقاً واســـعاً وقلباً خاشـــعاً ولسـاناً ذاكراً وعيناً دامعةً ودعوةً مستجابةً يا أرحم الراحمين آمين.

حرص الصحابة

إن من شـدة حرص الصـحابة رضـي الله عنهم على الأعمال الصالحة التي تُدنيهم من رضوان ربهم أنهم كانوا سباقين إلى الخير، ويسـألون عمَّا يدخلهم الجنة، ويبعدهم عن النار؛ لذا نرى معاذ بن جبل رضـي الله عنه يسـأل النبي عليه الصـلاة والسـلام: ((فيما رواه الترمذي عن معاذ بن جبل رضـي الله عنه قال: قلت يا رسـول الله: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: تعبد الله ولا تشـرك به شـيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت فقد وجد الرسول صلى الله عليه وسلم الحرص والانتباه والاهتمام من معاذ رضـي الله عنه فقال: يا معاذ، قال لبيك يا رسـول الله قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ قال: بلى يا رسـول الله، قال: الصـوم جُنة، والصـدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصـلاة الرجل في جوف الليل، ثم قال: يا معاذ، فقال: لبيك يا رسـول الله، قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سـنامه؟ قلت بلى يا رسـول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا

أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسـول الله، فأخذ بلسـانه وقال: كف عليك هذا، قال: يا نبي الله وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)) أهـ

اعلم أن هذا الحديث يحتاج شـرحه إلى سـنين فلو وقفنا عند كل فقرة من فقرات كلام النبي صـلى الله عليه وسـلم لوجدنا فيها الكثير من العبر والدروس، فإن ما سـأل عنه معاذ صـعب وشـاق لكنه يسير على من يسَّره الله عليه يتطلَّب منه عزيمة قوية لأن ما يُدخلِ الجنة ويُبعِد عن النار يحتاج إلى بذل جهد في العبادة، ومع ذلك فهو سـهل على من يسَّـره الله عليه، ثم ذكر الأعمال التي تدخل الإنسـان الجنة وتبعده عن النار؛ أن يعبد الله عبادة خالصة له لا يشرك معه أحداً، أن يقيم الصلاة، أن يؤتي الزكاة، أن يصـوم رمضـان، أن يحج البيت، فهذه الأعمال هي الطريق إلى الجنة، ثم يبين لمعاذ أن للخير أبواباً كثيرة منها: صـوم التطوع فهو يقي الصـائم من المعاصـي، الصـدقة تطفئ حرارة الخطيئة كما يطفئ الماء حرارة النار، الصـلاة بالليل والناس نيام حباً في رضـا الله تعالى، فهؤلاء القائمون للصـلاة في الليل ينتابهم القلق إذا أرادو النوم في

مراقدهم حتى لا يحرمون من مناجاة خالقهم فينهضون مسرعين إلى الصلاة خوفاً من الله وأملاً في رضاه، وهؤلاء هم القوم الصالحون الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؛ ومن هنا نجد الفرق كبيراً بين اهتمامنا في زمننا هذا وبين اهتمام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن اهتمامهم سعياً لكسب محبة الله لهم وتوفيقهم للعمل الصالح الذي يقربهم منه والفوز برضاه، وإن اهتمامنا في زمننا هذا هو ركب السيارات الفاخرة الفخمة، والسكن في أبهى القصور والعمارات، وكيفية الحصول على المال، وكيفية الوصول إلى المناصب العالية ...إلخ من متاعات الدنيا وملذاتها .

فاهتمام أصحاب الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم الذي أشرت إليه، هو كيفية الدخول إلى الجنة والنجاة من النار.

فهؤلاء هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم رباهم على التخلق بأخلاق الإسلام فجسدوها في سلوكهم وتعاملاتهم الحياتية، فلنتخذهم أخي الكريم قدوةً ومثلاً، لأنك مهما عشت أيها الإنسان فأنت راحل عن هذه الدنيا. قال البعض الأفاضل:-

لا تركنن إلى الدنيا وزينتها

فالموت لا شك يفنينا ويفنيها

واعمل لدارٍ غداً رضوان خازنها

والجار أحمد والرحمن بانيها

قصورها ذهب والمسك طينتها

والزعفران حشيش نابت فيها

والطير تجري على الأغصان عاكفة

تسبح الله جهراً في مضانيها

أنهارها لبنٌ مصفىً ومن عسل

والخمر يجري في مجاريها

من يشتري الدار في الفردوس

يعمرها بركعة في ظلام الليل يُحْيِيها

فقصور الجنة الذهب وحصباؤها اللؤلؤ والمرجان والياقوت، فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر وزوجاتهم فيها من الحور العين، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (لو نظرت حورية من حور الجنة وابتسمت لأضاءت ما بين السماء والأرض، ولو ظهرت خصلة من خصال شعرها لملأت ما بين السماء والأرض طيباً، ولو تفلت في البحر العجاج لجعلته عذباً بإذن الله)، إن الجنة لشيء عجيب، فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر .

قال تعالى في سورة الإنسان: { وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ... إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكورا } الآية،

فلا تظن بأن نعيم الجنة في خمرها أو في لبنها أو في حريرها أو في قصورها أو في أنهارها أو بنائها لكن كما قال ابن الجوزية رحمه الله: (نعيم الجنة الحقيقي هو في رؤية وجه ربها جل وعلا) .

واعلم أيها الحبيب أنه ما صلَّى المصلون، ولا زكَّى المزكون، ولا حجَّ الحاجون، ولا قام الليل القائمون، ولا بكى الباكون، ولا تضرَّع المتضرعون والمتذللون إلا وهم يطمعون في النظر إلى وجهه سبحانه تعالى ويتضرعون إليه لذلك، ويستعيذون بالله من النار .

وفي الخبر ((جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما الذي تدع به في صلاتك، فأجاب الأعرابي: يا رسول الله إني لا أحسن دمدمتك ولا دمدمة معاذ، فقاله الرسول صلى الله عليه وسلم : فماذا تدع، فقال: أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: حولها ندمدم)) .

وذكر صـــاحب إيقاظ الهمم في كتابه قائلاً: ((جاء ســـائل إلى ســـفيان الثوري رحمه الله تعالى وقال له: لقد أبتليت بمرض خطير، فســـأله ســـفيان: وما هو مرضـــك؟ قال: لقد أبتليت بمرض البعد عن الله فهل لي من دواء؟! فقال سـفيان: ما من داء إلا ولـه دواء، فقـال: صـــف لي دواء المرض، فقـال لـه سفيان يا أخي عليك بعروق الإخلاص، وورق الصبر، وعصير الطوابع، وضـــع كل هذا في إناء التقوى، وصـــب عليه ماء الخشـية، وأوقد عليه نار الحزن، وصـفِّه بمصـفاة المراقبة، وتناوله بكف الصـــدق، واشـــربه من كأس الاســـتغفار، وتمضـمض بالورع، وابتعد عن الحرص والطمع، تشـفَ من مرضك بإذن الله)) أهـ

وقال بعض الأفاضل في الحرص :-

دعِ الحرص على الدنيا

وفي العيش لا تطمع

ولا تجمع من المال

فما تدري لمن تجمع

فإن الرزق مقسومٌ

وسوء الظن لا ينفع

وقال بعض الأفاضل في الصبر :-

صبرت على بعض الأذى خوف كلِّه

ورفَّهت عن نفسي بنفسي فعزت

وجرعتها المكروهَ حتى تدرَّبت

ولو لم أجرعها إذن لتأثرت

ألا رُبَّ ذُلٍ ساق للنفسِ عزةً

ويا رُبَّ نفسٍ بالتذلُّل عزَّت

إذا مددت الكف ألتمس الغنى

إلى غير من قال اسألُّوني فشُلَّت

سأصبر جهدي إنَّ في الصبر عزةٌ

وأرضى بدنياي وإنْ هي قلَّت

وذكر في معالم الطريق إلى الله في باب الورع: ((عن عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه قال: لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيها رجل واحد ثم جاءه الموت لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يســـرُّه ثم اســـتيقظ فإذا ليس في يده منه شيء)). وفي ذلك قال بعضهم :-

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ

وليلك نومٌ والردى لك لازمُ

وتكدح فيما تكده برغبةٍ

كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

تُسرُّ بما يَفْنَى وتفرح بالمنى

كما سُرَّ باللذَّاتِ في النوم حالمُ

وقد ((ورد في صحيح مسلم وفي البخاري من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن آخر رجل سيدخل الجنة خبراً عجيباً ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أنه يحبو على الصراط ، والصراط يضرب بين ظهراني جهنم، وفي روايةٍ لمسلم أنه: أحدُّ من السيف، وأدق من الشعرة – ذلك هو الصراط إنه شيءٌ مخيفٌ عجيبٌ من وصفه ولكنه واسع ويسير على من يسَّرَه الله عليه، كُلٍّ بحسب عمله، ورحمة الله تعالى به –.

ويستمر المصطفى صلوات الله عليه وسلم واصفاً مبيناً حال آخر رجل يدخل الجنة من أمته أنه يمشي مرة، ويتكئ مرة، وتلسعه النار مرة، فيظل على هذا الحال من الصراع إلى أن يعبر الصراط، فينظر إلى النار فيقول: تبارك الذي نجاني منك، الحمدلله الذي أعطاني ما لم يعط أحداً من الأولين والآخرين من خلقه – مصداقاً لقوله تعالى { فمن زحزح عن النار

وأدخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيما } الآية –، ويقول صلى الله عليه وسلم: فينظر هذا العبد فيرفع الله له شجرة، فينظر العبد إلى الشـــجرة ويقول يا رب قرِّبني إلى هذه أســـتظل بظلها، وأشـــرب من مائها، فيقول الله: لو أعطيتك وقربتك إلى هذه الشجرة سألتني شيئاً آخر، يقول: لا وعزتك لا أسأل غيره، فيقربه الله جل وعلا إلى هذه الشجرة، وبعد فترة يرفع الله له شـجرة هي أفضـل من الأولى فيرى العبد ما لا طاقة له عليه فيقول: يا رب قرِّبني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها، يقول الله: عبدي ما أغدرك يا بن آدم ألم تعطني العهود والمواثيق أن لا تســـأل غير الذي ســـألت؟ فيقول: وعزتك لا أسألك غيره، فيقربه الله إلى الشجرة الثانية فيمكث تحتها ما شاء الله، فيرفع الله له شجرة ثالثة على باب الجنة – والرسول صلى الله عليه وسلم يقول الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها خمسمائة عام أنها شجرة غرسها الله لأوليائه وأحبابه – فيرى العبد هذه الشـــجرة على باب الجنة، فيقول: يا رب قربني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله ما أغدرك يا ابن آدم ألم تعطني العهود والمواثيق أن لا تسألني غير الذي سألت، فيقول: وعزتك لا

أسـألك غيره، فيقربه إلى هذه الشـجرة فيمكث ما شـاء الله له أن يمكـث، ثم ينـادي على الله جـل وعلا، فيقول: يـا رب لا تجعلني أشـــقى خلقك اللهم أدخلني الجنة، فيضـــحك الله جل جلاله من عبده فيقول الله للعبد: يا عبدي ما الذي يرضـــيك مني أتحب أن أعطيك الدنيا وعشـــر من أمثالها، فيقول: العبد يا رب أتهزأ بي وأنت رب العالمين، – يقول النبي صـــلى الله عليه وســـلم – : فيضـــحك الله من عبده، ويقول: لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير))أهـ

صفة الجنة

إن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ ســـمعت ولا خطر على قلب بشـــر لقوله تعالى: { فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قرة أعين } الآية، ومما جاء في صـفة الجنة عن أسـامة ابن زيد قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه: ألَّا مشـمِّر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هي وربِّ الكعبة؛ نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصـــرٌ مشـــيد، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، وفاكهةٌ كثيرةٌ نَضِـــجَةٌ، وزوجةٌ حســـناءُ)، وفي الترمذي قال عليه الصـلاة والسـلام: (بناء الجنة لبنةٌ من فضـةٍ ولبنةٌ من ذهبٍ ملاطُها المسـك الأذفر، وحصـباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتُها الزعفران، من دخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم) ، وقال بعضهم :-

الا يا عين ويحك أسعديني

بغزر الدمع في ظُلم الليالي

لعلكِ في القيامة أن تفوزي

بخير الدار في تلك العلالي

وينادي ربك جلَّ وعلا: (يا أهل الجنة إني قد رضـــيت عنكم فهل رضـيتم؟ فيقولون: سـبحانك وما لنا لا نرضـى عنك وقد أدخلتنا الجنة، ونجيتنا من النار؟! ألم تُبَيِّضْ وجوهنا يوم أن أسودت الوجوه؟! فيقول الله جل وعلا: لكن لا بد أن تسألوني ولابد أن تتمنوا عليّ، فيذهب أهل الجنة إلى علمائهم في الجنــة الـذين كـانوا يعلمونهم الحلال والحرام في الـدنيـا فيقولون: يا علماءنا لقد شـــدد الله علينا أن نســـأله فما الذي نســـأله؟ فيقول العلماء لأهل الجنة: إذا عاود الحق جل جلاله السؤال فقولوا له: يا رَبُّ سؤالنا أن ترضى فلا تسخط علينا أبداً لنظلَّ في هذا النعيم، فيقول الله: وهل بغير رضـــاي دخلتم الجنة ؟!)

فهؤلاء العلماء علماء حقٍ في الجنة لأن العلماء هم ورثة الأنبياء وهم أخشى الناس لله قال تعالى: { إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ } الآية، ولقد قرأت حديثاً عجيباً في كتاب جامع العلوم والحكم يقول: (إن الله يقول للعلماء يوم القيامة: ما جعلتكم علماء في الدنيا إلا لأني أريد أن أغفر لكم اليوم في الآخرة! ويقول الله لأهل الجنة: إن لكم عليّ عهداً لا تبلى

ثيابكم، ولا يفنى شـبابكم، ولا ينتهي نعيمكم، وأن أرضـى فلا أسخط عليكم أبداً).

ويكشف الله الحجب بينه وبين أهل الجنة فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى، وأيُّ نعيم أفضل من هذا النظر إلى وجهه الكريم قال بعض الأفاضل :-

أما والله لو علم الأنامُ

لِمَا خُلِقوا لَمَا غفلوا وناموا

لقد خُلِقوا ليومٍ لو رأته

عيونُ قلوبهم ساحوا وهاموا

مماتٌ ثم نشرٌ ثم حشرٌ

وتوبيخٌ وأهوالٌ عظامُ

ليوم الحشر قد عملت أناس

فصَلُّوا من مخافته وصاموا

ونحنُ إذا أُمِرنا أو نُهينا

كأهلِ الكهف أيقاظٌ نيامُ

وذكر بعضهم في أوصاف الجنة فقال :-

فاسمع إذاً أوصافها وصفاتها

تيـك المنـازل ربـة الاحسان

هي جنة طابت وطاب نعيمُها

فنعيمُها بــاقٍ وليس بــفـانِ

أو ما سمعتَ بأنه سبحـانـــه

حــقـاً يكلِم حِزبه بجنـــــانِ

ويرونـه سبحانـه من فـوقـهـم

نـظرَ العيان كما يُرَى القمرانِ

ولـهم منابر من لؤلؤٍ وزبرجـد

ومنـــابــر الياقــوت والعقـيان

هـذا وخاتمة النعيم خـلودهـم

أبــداً بـدار الخـُلد والرضــوان

كيف يطمأن أقوام إلى الدنيا وهم يرون سرعة الانتقال؟ وكيف يطمعون في مقام الدنيا وهم يرون فيها تقلُّبَ الأحوال ويحملون الأوزار وهي ثقال؟! أما أنذرهم وأنذركم مَن رحل قبلكم مِن الأحبـاب بـالارتحـال؟ فجـدوا رحمكم الله في زمن الإمـهال ! فكم لله من أقوام أقدامهم في الدجى قائمة، وأعينـهم ساهرة، وقلوبهم على طاعة ربهم عازمة،

قال بعض الأفاضل:-

قم في ظلام الليل وأرفع شكايةَ

إلى الملك الأعلى وقلبك خاشعُ

وقل يا رؤوفاً بالعباد ومحسناً

ببابك عبد من عبادك خاضع

فكن راحماً فقري وذُلّي وحالتي

فعفوك مأمولٌ وفضلك أوسع

ووفِّر نصيبي من عطاياك سيدي

فمازلت تعطي من لبابك قارع

أغث يا عظيم الطول عبداً مُحاذراً

ويرجوك في الغفران بالعفو طامع

[آمـــيـــــــن]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فضل أهل البيت النبوي

قال تعالى: { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطَّهِّركم تَطهيرا } الآية، لقد طهر الله نبينا وأهل بيته من كل رجس وآتاهم من لدنه فضلاً عظيماً.

وورد في فضله وفضل أهل بيته آياتٌ وأخبار وآثار خارجة عن الانحصار، وإن من أهم الأمور الإيمان به والاعتقاد الجازم بأنه نبي ورسول أرسله الله إلى كافة الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وأنه أفضل من كُلِّ ملك ورسول على الاطلاق، وأن أصوله وفروعه أشرف الأصول والفروع كيف لا ؟! وقد اتصلت بنسبه أنسابهم وارتبطت بحسبه أحسابهم فهم منه وإليه وأقرب الناس إليه، وأن محبته صلى الله عليه وسلم فرض على كل موحدٍ، ومجتهدٍ، ومقلد، فبحسب زيادة محبته ونقصانها تكون زيادة الإيمان ونقصانه، ومن ادعى الإيمان بدون محبته فقد عظم نفاقه وبهتانه، ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة من اتصلوا به ورجعت أنسابهم إلى نسبه صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه

الآية { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس } الآية: (إنما يريد ليذهب عنكم الســـوء والفحشـــاء يا أهل محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيراً) .

وأخرج أحمد والمحاملي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: (قال جبريل: قلَّبتُ مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، وقلبت مشــارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أبٍ أفضــل من بني هاشم) أهـ.

وأخرج الإمام أحمد بســند جيد عن العباس رضـــي الله عنه: (إن الرسول صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال: من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه، وجعلهم من خير قبيلة، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً) أهـ .

وقال صلى الله عليه وسلم (أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصـــار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم ســـائر العرب ثم الأعاجم؛

ومن أشـــفع له أولاً أفضـــل) أخرجه الطبراني والدار قطنى مرفوعاً.

وذكر النبهاني في كتابه الشـــرف المؤبد لآل محمد عن ابن عباس رضـــي الله عنهما قال: قال رســول الله صــلى الله عليه وسـلم: (إن الله قسَّـم الخلق إلى قسـمين فجعلني من خيرهما قســـماً) فذلك قوله تعالى: { فأصــحاب اليمين ما أصــحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال } الآية، فأنا من أصــحاب اليمين وأنا خير أصــحاب اليمين ثم جعل القســمين ثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً فذلك قوله: { أصحاب الميمنة ما أصــحاب الميمنة وأصــحاب المشـئمة ما أصــحاب المشـئمة والســـابقون الســـابقون} الآية، فأنا من الســـابقين وأنا خير الســابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلةً وذلك قوله: { وجعلناكم شـــعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقــاكم } الآيــة، فــأنــا أتقى ولــد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر)أهـ.

وأخرج الطبراني في الأوســط عن جابر بن عبدالله رضـــي الله عنه قال: خطبنا رســول الله صــلى الله عليه وســلم فسـمعته

يقول: (أيها الناس من أبغضـــنا أهل البيت حشـــره الله يوم القيامة يهودياً)أهـ .

وعن أبي سـعيد الخدري رضـي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار) أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين.

وقال علي رضـي الله عنه لمعاوية: إياك وبغضـنا فإن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياطٍ من نار) رواه الطبراني .

وقال عليه الصلاة والسلام: (حُرِّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي) والعترة: هم الذين ينتسبون إليه من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

ورحم الله تعالى من قال:-

آل طـه يـا آل خيـر نبـي
جدكم خيرة وأنـتم خـيـارُ

أذهب الله عنكم الرجس أهـل
البيت قدمـاً فأنتم الأطهـارُ

لم يسل جدُكم على الدين أجراً
غيـرَ ودِّ قُربى ونِعـم الإجار

حبكم جنة لكل فؤادٍ

فيه حبٌ لأصحاب والبغض نار

رضي الله عنكم وأنتم النور

فيكم وإن أبا الكفار

واعلم أن عترته صلى الله عليه وسلم هم بركة هذه الأمة ولابد أن يوجد في كل عصر طائفة منهم يدفع الله بها عن الناس البلاء لقوله صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه جماعة أصحاب النبي فيما رواه الإمام أحمد في سنده: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) والمعنى أن وجودهم أمان لأهل الأرض وذكر الصبَّانُ في اسعاف الراغبين فقال: ((قال تعالى: { قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى } الآية.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما بال أقوامٍ يقولون إنَّ رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة ؟! بلى إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرضٌ لكم على الحوض)، وفي آية المباهلة: { فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم } الآية.

فهذه من خصائصه لأهل بيته وإن اتصال نسبهم به صلى الله عليه وسلم مستمر إلى يوم القيامة بخلاف سائر الأنساب فإنها تنقطع ولا ينتفع بها كما صرح بها حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أراد أن يخطب لنفسه أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنهما فقد ألحَّ عمر على علي كرم الله وجه ثم صعد عمر على المنبر فقال: أيها الناس والله ما حملني على علي في إبنته إلا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري) أخرجه الطبراني في الكبير والدارقطني والحاكم والبيهقي)) .أهـ.

وكما صرح به جلال الدين السيوطي في الخصائص وذكره في المشرع القوي في "مناقب بني علوي": ((عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: (أتدرين لِما سُمِّيتِ فاطمة؟ قال: علي لما سميتها فاطمة؟ قال: إن الله عز وجل قد فطمها وذريتها من النار) أخرجه الحافظ الدمشقي، وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ففعل وهو

فاعله، فقلت: ما فعل؟ قال صـــلى الله عليه وســـلم: فعله لكم وبفعله لمن بعدكم) أخرجه الملا.

والعترة هم الذين ينســـبون إليه وهم أولاد فاطمة رضـــي الله عنهما ونفع بهما ونسلهم أبداً إلى يوم القيامة، قاله في شرح المهذب.

وعن علي رضـــي الله عنه قال: (أخبرني رســـول الله أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين فقلت: يا رسول الله ومحبونا؟ قال: من ورائكم) أخرجه أبو سعيد النسابوري.

وعن علي رضـي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه وســـلم: (أربعة أنا لهم شـــفيع يوم القيامة المكرم لذريتي، والقاضـــي لهم حوائجهم، والســـاعي لهم في أمورهم عندما اضـطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولســانه) أخرجه الديليمي وأحمد في مســنده، وعن أبي ســعيد الخدري رضـــي الله عنه قال: ســمعت الحســن والحســين ابنا علي رضـــي الله عنهما يقولا: (من أحبنا لله نفعه الله بحبنا ومن أحبنا لغير الله فإن الله يقضـي في الأمور ما يشـاء)، أما حبنا لأهل البيت يسـاقط من العبد الذنوب كما تســاقط الريح الورق عن الشـجرة ذكره السـيوطي في الخصـائص في مناقب بني علوي، وقال أيضـاً

عن جابر رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحبنا أهل البيت إلا إمرؤ تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي) أهـ. "الخصائص".

وقال عليه الصلاة والسلام (المرءُ مع مَن أحب ؛ ومَن أحب قوماً فهو منهم) متفق عليه.

واعلم أيها المحب أن عليك أن تحب الله ورسوله وأن تحذر من الادعاء بالمضاهاة والمماثلة لأهل البيت قال الشيخ أحمد الحسناوي في كتابه " تثبيت الفؤاد في كلام الحداد" (إن أناساً يدّعون أنهم في الفضل مثل السادة مِن أهل البيت ويريدون مسابقتهم، ويقول الحداد: لا تُسَابِقْ من لا يُسبق، فإن قلت ذلك فإنك لا تستطيع مسابقتهم لأنك لا تدركهم فيحصل لك التعب الشديد والفضيحة من الناس والسقوط من منزلتك التي كنت عليها، فأحذر ولا تدَّعِ ما ليس لك فيه القدرة عليه)، وأخرج الحاكم وصححه على شرط الشيخين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار) عن أبي سعيد الخدري .

واعلم أن أملك ما في الإنسان قلبه ولسانه فإن تمكنت من ذلك وسرت بهما إلى ما أمرك الله به وصرفتهما عن حب الهوى والدنيا فقد فزت فوزاً عظيماً .

ورحمة الله تعالى من قال :-

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يقتلنَّك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تخاف لقاءه الأقران

فأحفظ لسانك عن قيلٍ وقال وأي قولٍ فيه بهتان وأشغل قلبك بذكر الله والخوف من الله حتى يحثك على العمل الصالح، وحب أهل بيت رسول الله ومناجاة خالق الأرض والسموات ويصرف عن قلبك دواء الغرور، وحب الشهوات، ويقطع من قلبك محبة الدنيا والركون إليها فيقوى عندك الإيمان بحبك لله تعالى ولا يبقى فيه موضع شيىءٍ لشهوات الدنيا ولذَّاتها غير محبةِ الله تعالى، والخوف من عذابه، ورجاء عفوه ومغفرته، والنظرِ إلى وجهه جل جلاله، وحب لقائه، لقول صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) متفقٌ عليه عن أبي موسى رضي الله عنه .

وأخرج أبو سعيد النيسابوري عن أنس رضي الله عنه قال: (خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري فمر بالحسن والحسين وهما يلعبان بالتراب فاكب جابر يقبل أسافل أقدامهما فقلت: ولو صغيراً؟! وكان جابر بن عبدالله الأنصاري بعد أن عَمِيَ يسألُ: هل من أهل البيت في مجلسنا هذا؟ إن قيل: نعم فإذا كان معه شيء لم يرضَ أن يبدأ به قبل السيد الحاضر عنده في المجلس) ذكره صاحب " ظهور الحقائق " للحبيب عبدالله العطاس رحمه الله تعالى .

وأخرج أبو سعيد والملا في " سيرته " أنه صلى الله عليه وسلم قال: (استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصمه أخصِمُهُ ومن أخَصِمُهُ دخل النار)، وقال علي بن الحسن العطاس في كتابه " الرياض المونقة ": (رأيت أربعة أجناس من الناس في زمننا هذا يبتليهم الله بالبغض والعدواة لأهل البيت واستنقاصهم والوقيعة بهم والتعويق عن مودتهم حسداً لهم وبغياً عليهم وهم :- من ولي منصب القضاء لحطام الدنيا بغير نية صالحة، وأهل المناصب الخالية عن سر الولاية في التقوى ونور سلامة الصدر في مقام كان أبي كذا وكذا، ومنِ اشتهر بالعلم والتدريس ويروم

أن لا يُذْكَرَ عنده أحدٌ غيره، ومَن أكثر التردُّدَ لحج بيت الله لشيء في نفسه وزيارة قبر نبيه وهو غيرُ محب له، مع أن الواجب على هؤلاء وغيرهم محبة أهل البيت ومودتهم لقرابتهم من جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: { قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى } الآية.

فكيف يرضى عاقل أو جاهل بأن ينسب إلى البغضِ والعداوة لأهل البيت والتي هي كفر بغير شك؟! فإذا كان الإنسان المعروف بالخير يأنف من أن تنسب إليه صغائر المعاصي فضلاً عن الكبائر فكيف يرضى أن ينسب إلى الكفر؟! وأي فائدة تحصل له سواءً كانت دنيوية أو أخروية فيما هو فيه من عدم المودة والمحبة لأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم؟ فوالله إن كانت تلك المراتب تؤدي إلى البغضاء والعداوة والكراهية لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤدية إلى الكفر فالتخلي عنها أحرى.

وقد حكي عن غيظ هشام بن عبدالملك الأموي مما رآه من مقدار رفعة مكانة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عند الناس وما يلاقيه من التقدير والإجلال له عند تقبيله الحجر الأسود رضي الله عنه وسأذكرها في آخر الباب.

من فضـــائل أهل البيت ما قد ورد عن الســـلف الصـــالح قال: ســيدنا إبراهيم التولي – رحمه الله – : (من آذى شــريفاً فقد آذى رسول الله وعلى كل صاحب مال إذا رأى شريفا عليه دين أن يفديه بماله لأنه جزء من رسول الله صلى الله عليه وسلم). وأخرج الإمام أحمد بن حنبل والديلمي عن علي رضـــي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربعة أنا لهم شـــفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضـــي لهم حوائجهم والســـاعي لهم في أمورهم عندما اضــطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه). وقال بعض الأفاضل:-

آل النبي لهم في نفس نسبتهم

سرٌ عظيم له في الحب غايات

والأولياء وإن جلَّت مراتبهم

في رتبة العبد والسادات سادات

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :-

يا أهل بيت رسول الله حبُّكُمُ

فرضٌ من الله في القرآن أنزله

كفَاكُمُ من عظيم القدر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة له

وفي البخاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من انتســـب إلى غيرِ أبيـه أو تولَّى غيرَ مواليـه فعليـه لعنـة الله والملائكة ولا يقبل الله منه صـــرفاً ولا عدلاً إلى يوم القيامة) أخرجه البخاري.

ومن العجب من بعض من يدَّعي العلم من الحسدة والممقوتين كيف يرى الواحد منهم حرصـاً على اعلاء نفســه الدَّنِية على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلِ المراتب العليَّة، وإذا ذُكِرَ شرف الشرفاء وانتسابهم إلى حضرة جدهم صلى الله عليه وسلم اشتدَّ كربُه وضاق صدرُه مخافة أن يصغُر عند الناس قدره ولم يجد ســبيلاً إلى ادعاء هذه الفضــيلة، وعمي قلبه عن ادراك نعمة الإسلام التي وصلت إليه بواسطة جدهم الأعظم صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم:-

حذارِ يا أيها الباغي ظلامتنا

فإن لحم بني الزهراء مسموم

وعن الحســين بن علي رضــي الله عنه قال: قال رســول الله صــلى الله عليه وســلم: (مَن ســبَّ أهلَ بيتي فأنا بريء منه والإسلامُ).

وأما من ابتلاه الله بسببِ الأشراف والانتقاص منهم فقد تعرض لقوله تعالى: { إنَّ الذين يؤذون الله ورســـوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً } الآية، وقال تعالى: { والذين يؤذون رسول الله لهم عذابٌ أليم } الآية .

واعلم أن من قام من أهل البيت بحفظ حدود الشريعة المطهَّرة فقد تحققت فيه القرابة والقربة وحاز فضيلة الحسب والنسب وتوفرت فيه فضيلة الشرفين من الجهتين، ومن لم يسبق له نصيب وأُخرِجَ من الميراث النبوي بارتكابه المعصية ولكنه لم يفارق الملَّة الفراق الموجب للكفر بقي على ميراثه في حق القرابة، وروعيت فيه حقوقها ولو ارتكب معصية لا تقتضي اخراجه من الملة بإســـاءته وتقصـــيره عن الحقوق فلا يجب اخراجه مما له من حقوق القرابة؛ لأن صـــلة الأرحام مأمور بها مع القطيعة والعقوق، وهو صـــلى الله عليه وســـلم أولى الناس بذلك، وقد ذكر الحبيب عبدالله بن علوي بن حســـن العطاس في كتابه "ظهور الحقائق" قوله: ((بلغنا أن بعض أهل البيت تخلق ببعض الأخلاق الذميمة فوقع تنقيصه من أحد العلماء وكان هذا العالم يرى النبي صـلى الله عليه وسـلم في المنام فلما وقع ما وقع منه أحتجب عنه النبي صـلى الله عليه

وســـلم ثم أنه رآه بعد ذلك فقال له في ذلك .. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (آذيت ولدي) فقال له العالم فعل وفعل، فقال له النبي صـــلى الله عليه وســـلم: (الولد العاق يرث من أبيه أم لا يرث ؟) فقال: نعم، فقال له النبي صـــلى الله عليه وسلم: (هذا ولدي وأدبه علي) .أهـ .))

اللهم اجعلنا ممن عرف الحق لأهله!

واعلم أن محبتهم تطوّل العمر وتبيّض الوجه يوم القيامة كما جاء في كتاب "الصواعق" لسليمان بن عبدالوهاب أنه صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب أن ينسأ له أي يؤخر أجله وأن يمتَّع بما خُوِّله فليخلفني في أهلي خلافة حســـنة، ومن لم يخلفني فيهم بُتِرَ عمره، وورد عليَّ يوم القيـامـة مســـودّاً وجهه).

وقال البارزي عن الشـيخ أبي الحســن الجزلي في كلامه عن الإيمـان: (إن خواص العلمـاء من هذه الأمـة يجدون بهذا الإيمان حلاوةً ومحبةً خاصـــةً لنبيهم وبقدر ماله في قلوبهم حتى يجدوا آثاره على نفوســـهم وأهليهم ومـالهم ويحبون أقرباءه وذريته وذرية صـــحابته محبةً يجدون لهم مزيَّة على غيرهم ويحبون أن يعينوهم ويدنوهم منهم رعـايـة لآبـائهم

وعلماً باصطفاء نطفتهم الكريمة لقوله تعالى: { والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء }الآية.

وفي الحقيقة لا يعد من المؤمنين من لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته أحب إليه وأعز عليه من أهله وولده والناسِ أجمعين .

قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم: { قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى } الآية، وذكر الطبري في معنى: ({ قل لا أسألكم عليه أجراً } الآية، يا معشر قريش إلا أن تودُّوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم).

وأخرج جماعة من أصحاب السنن فيما رواه الإمام أحمد: ((أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض) ومعناه أن وجودهم في الأرض أمان لأهلها عموماً ولأمته خصوصاً من العذاب)) .أهـ.

وقال العلَّامة الصبَّان في كتابه "سعادة الراغبين" : وقد يشير هذا المعنى إلى قوله تعالى: { وما كان ليعذبهم وأنت فيهم}

ومعنى كونهم أماناً لهذه الأمة أي أن وجودهم فيها علامة أن الدنيا لم يحن وقت ذهابِها، فإن هلكوا جاء أهل الأرض الآيات الدالة على قيام الســـاعة فإنهم ماداموا فيها في أمان لقوله صلى الله عليه وسلم: (كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا ســببي ونســبي) أخرجه الطبراني في الكبير والحاكم والدار قطني والبيهقي عن عمر مرفوعـاً، ونقـل القرطبي عن ابن عباس رضـــي الله عنه في تفســير قوله تعالى: { ولســوف يعطيك ربك فترضــى } الآية . أنه قال رضــا محمد صــلى الله عليه وسـلم: (أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار) وأدلة ذلك من السـنة كثيرة، وقد قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: (أن فاطمة قد أحصـــنت فرجها فحرمها وذريتها على النار) وقال الحاكم حديث صحيح، وعن ابن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطانيها) وأما قوله تعـالى: { إنمـا يريـد الله ليـذهـب عنكم الرجس أهـل البيـت ويطهّركم تطهيرا } الآية، ذهبت طائفة من المفســـرين منهم أبو ســـعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم كمـا نقلـه الإمـام البغوي وابن الخـازن وكثير من

المفســـرين نزلت هذه الآية في أهل العباءة وهم رســـول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، كما روى الإمام أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نزلت هذه الآية في خمسة فيَّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة) والمراد من أهل البيت في هذه الآية هم خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، وقال العلامة ابن حجر (فالحكمة في اختصـــاص أولاد فاطمة بهذا الشرف دون أولاد سائر بناته صلى الله عليه وسلم: (من المزايا الكثيرة على إخواتها والتي منها ما ورد أن الله زوجها لعلي كرم الله وجهه في الســـماء قبل أن يتزوجها في الأرض، ومنها أنها سيدة نساء الجنة) فهذه بعض الميزات من المزايا التي امتازت بها من الفضـــائل ولا يبعد أن تكون هذه الحكمة هي بقاء نسلها في العالم أماناً له لقوله صلى الله عليه وســـلم (إني تاركٌ فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي، ولن تظلوا ما تمسكتم بهما أبداً) أخرجه مسلم في صحيحه عن يزيد بن حبان والترمذي في "نوادر الأصـــول" عن جابر بن عبدالله.

وقد صـــرح المحققون بأنه لو عاش من نســـل زينب من أبي العاص ونسل رقية وأم كلثوم من عثمان رضي الله عنهم لكان لهم من الشـرف والسـيادة ما لنسـل فاطمة رضـي الله عنها، ومع كونهم أولاد ابنته فاطمة رضـي الله عنها يسـمون أبناءه وينسبون إليه صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم (كل بني آدم ينتمون إلى عصـــبة إلا ولدا فاطمة فأنا وليهم وأنا عصـــبتهم) أخرجه الطبراني . وقوله صـــلى الله عليه وســـلم:(إن الله جعل ذرية كل نبي في صـــلبه وأن الله جعل ذريتي في صـــلب علي بن أبي طالب) أخرجه الطبراني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً.

وهذه الخصـــوصـــية لأولاد فاطمة فقط وقد ثبت ذلك بطرق عديدة وصـــحيحة أن رســـول الله جاء ومعه علي وفاطمة والحســـن والحســـين وقد أخذ كل واحد من هما بيدٍ حتى دخل فأدنى علي وفاطمة وأجلســـهما بين يديه وأجلس حســـناً والحسين كل واحد على فخذه ثم لفَّ عليهم كساءً ثم تلى هذه الآيـة: { إنمـا يريـد الله ليـذهـب عنكم الرجس أهـل البيـت ويطهركم تطهيرا } الآية، أخرجه الإمام أحمد والطبراني عن أبي ســـعيد الخدري رضـــي الله عنه، وفي رواية: (اللهم أهل

هؤلاء بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، قالت أم سلمه: (فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت: وأنا معكم يا رسول الله فقال إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على خير).

واعلم أن البغض والغيظ والكره لآل البيت مستهجنٌ عند الناس العارفين لقدر المصطفى وآل بيته ووجوب محبتهم فقد روي عن غيظ وبغض هشام بن عبدالملك الأموي لأهل البيت مما رآه في مقدار علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من رفع قدره ومكانته عند القوم وقد حكي في ديوان الفرزدق: ((أن هشام بن عبدالملك الأموي قبل أن يولى الخلافة طاف بالبيت فاجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يُمْكَّنْهُ، وجاء زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه فوقف الناس له وتنحوا عن الركن حتى استلمه، فقيل لهشام: من هذا ؟ فقال لا أعرفه) فقال الفرزدق : لكني والله أعرفه وأنشأ يقول :-

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحِلُّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلِّهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها

إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

ينمي إلى ذروة العز التي قصرت

عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

ينشق نور الهدى من نور عزته

كالشمس تنجال عن اشراقها الظلم

يغضي حياءً ويغضى من مهابته

ولا يكلم إلا حين يبتسم

مشتقة من رسول الله نبعته

طابت عناصره والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله

بجده أنبياء الله قد خُتِموا

فليس قولك من هذا بضائره

العرب تعرف من أنكرت والعجم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره

يزينه اثنان حسن الخلق والشيم

من معشر حبهم فرض وبغضهم

كفرٌ وقربهم منجاً ومُعْتَصَمُ

إن عُدَ أهل التقى كانوا أئمتهم

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جوادٌ بعد غايتهم

ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت

والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

في كل بدءٍ ومختومٌ به الكلمُ

حاشاهم أن يحل الذم ساحتهم

خيم كريمٌ وأيدٍ بالندى هضمُ

فلما سمع هشام ذلك غضب وأخذ الفرزدق وحبسه "بعسفان" ولما بلغ زين العابدين إمتداحه أرسـل إليه بإثنى عشـر ألف

درهم وقال: اعذر أبا فراس! ولو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك، فردَّها وقال: يا ابن بنت رسول الله ما قلت ذلك ألا غضباً لله ولرسوله، فقال: زين العابدين شكراً لله على ذلك غير أنا أهل البيت إذا أنفذنا شيئاً لم نعد فيه، فقبلها وجعل يهجو هشاماً)) .

وقد كان زين العابدين رضي الله عنه فصيحاً بليغاً له من المنظوم والمنثور ما يقصُر عنه أكابر البلغاء وتعجز عنه السن الفصحاءُ فمن شعره رضي الله عنه :-

أني لأكتم من علمي جواهره

كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقد تقدم في هذا أبو حسن

إلى الحسين وأوصى بعده الحسنا

يارب جوهر علم لو أبوح به

لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولا ستحل رجال مسلمون دمي

يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وقال العلامة محمد بن عمر الحضرمي في كتابه "الحسام المسلول" إذا كان الله أمر وليه الخضر ونجيه موسى عليهما

السلام بمراعاة من كان أبوهما صالحاً فما ظنك بمن يدنَى إلى من أرسله الله رحمة للعالمين ومَنَّ به على المؤمنين، وأنقذهم بـه من خســـران الـدنيـا والآخرة، فـافهم قولي تفز بـالخير والظفر).

واعلم أيها الحبيب أن ما وصـل إليه الرسـول صـلى الله عليه وســـلم من الكمال والقرب من الله تعالى لم يصـــل إليه نبي مرسـل ولا ملك مقرَّب، وقد صرَّح بذلك الأئمة كالفخر الرازي وابن حجر الهيثمي وغيرهم بأن فضــائل الرسـل والأنبياء لو اجتمعت في واحدٍ وقُوبِلَت بفضـائل نبينا محمد صـلى الله عليه وسلم لرجحت فضائله صلى الله عليه وسلم على بقية إخوانه من الأنبياء والمرسـلين فهو صـلى الله عليه وسـلم أفضـلهم خصــوصــاً وعموماً كما وصــفه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى: { وإنك لعلى على خلقٍ عظيم } وناداه الله تعالى يا أيها النبي يا ايها الرسول ولم ينادِ الله تعالى نبياً ولا رسولاً بهذا النداء بل ناداهم بأسمائهم جميعاً إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسـلم لأن الله تعالى رفع قدره ورفعه مكاناً عليّاً وأقسـم الله تعالى بـه في قولـه تعالى: { لعمرك إنهم لفي ســـكرتهم يعمهون }الآية، وغير هذا الكثير بما ناله، ولم ينله غيره من

الأنبياء والمرسلين، وكما أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق فشريعته أفضل الشرائع وأمته خير الأمم وآله خير آل وأصحابه خير الأصحاب فعلى المسلم أن يطالع في الكتب التي تم تأليفها في فضائله وأوصافه وأخلاقه ومعاملاته "كالشفاء" للقاضي عياض وكتب السيرة وكتب الأئمة رحمهم الله وغيرهم حتى يعرف المسلم منزلة نبيه صلى الله عليه وسلم وما حصل له من المعجزات وغيرها مما تعجز عن بيان حقيقته الألسن والأقلام وبما أثنى الله على أمته ونهجه .

أسأل الله تعالى أن يحشرنا ووالدينا وذرياتنا وزوجاتنا في زمرته وأن يوفِّقنا لما يحبه ويرضاه وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، وأن يرزقنا حبه وحب نبيه وعترته وأصحابه أجمعين .

اللهم اجعل هذا الرسول لنا شفيعاً وأرزقنا به يوم القيامة مقاماً رفيعاً، اللهم وأكفنا شر الظالمين، وأجعلنا من فتنة هذه الدنيا سالمين، اللهم واجعلنا لك من الذاكرين، ولنعمائك حامدين شاكرين، وبطاعتك مشغولين، ولا تجعلنا من الغافلين، اللهم وأغفر لنا ولوالدينا ولزوجاتنا وأبنائنا وأبناء

أبنـائنـا ولمن لهم حق علينـا ولمشـــايخنـا ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمســـلمين والمســـلمات الأحياء منهم والأموات إنك قريبٌ مجيب الدعوات وقاضـــي الحاجات . وآخر دعوانا الحمدلله رب العالمين وصـلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أمين .

من أوصاف نبينا صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: { وإنك لعلى خلقٍ عظيم } الآية، فقد كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خَلْقَاً وخُلقًا وأحسنهم وجهاً، وكان خُلُقُهُ القرآن، وشيمته الغفران، ينصح للإنسان ويعفو عن الذنب إذا كان في حقه، وإذا ضُيِّعَ حقُ الله لم يقم أحدٌ لغضبه، ومن رآه هابه، وإذا دعاه المسكين أجابه، يقول الحق ولو كان مراً، ولا يضمر لأحدٍ غشاَ ولا ضرا، ومن نظر في وجهه علم أنه ليس بوجه كذَّاب، وكان صلى الله عليه وسلم ليس بغمَّاز ولا عيَّاب، وإذا سُر فكأن وجهَهُ قطعة قمر، وإذا تكلَّم فكأنما يجنون من كلامه الدُّرَ يسقط من ذلك الكلام، وكلامه أحلى من الثمر، وإذا تحدَّثَ فكأن المسك يخرج من فيه، وإذا مر من طريقٍ عُرِفَ من طيبه أنه قد مر فيه، وإذا جلس في مجلسٍ بقي طيبُه فيه وإن لم يكن قد تطيب، وإذا مشى بين أصحابه كأنه القمر المتلألئ ليلةَ البدر بين النجوم الزُهر، وإذا أقبل ليلاً فكأن الناس من نوره في أوانِ الظهر، وكان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، وكان يرفق باليتيم والمسكين والأرملة، وقال بعض واصفيه (ما رأيت

قبله ولا بعده أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم).
وقال البراء رضي الله عنه: (رأيته في حلَّة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه) رواه مسلم، وقيل أيضاً: (سأل رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ فقال: لا بل مثل القمر) رواه البخاري والترمذي.
وقال جابر: (مثل الشمس والقمر الحديث) رواه مسلم. وكان له صلى الله عليه وسلم في كل مقام مقال ولكل كمال منه كمال ولا يحول في سؤالٍ ولا جواب، ولا يجول لسانه إلا في صواب، وكان لا يتكلَّم في غير حاجة.
وأخبر الله سبحانه وتعالى عن فضائله في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقرن الله سبحانه وتعالى اسمَه مع اسمِه لقوله تعالى: { ورفعنا لك ذكرك } الآية.
وروى ابن كثير في هذا عن ابن جرير وأبي يعلى وابن أبي حاتم قال: عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (آتاني جبريل فقال: إن ربي وربك يقول: كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذ ذُكرتُ ذُكرتَ معي) وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا مُشَـهِّدْ ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله

إلا الله وأشـــهد أن محمداً رســـول الله، وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، وأخـذ الله الميثـاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به ويأمروا أممهم الإيمان به، ثم اشـــتهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه؛ كما قال حسَّـــان بن ثابت رضي الله عنه:-

وضَمَّ الإلهُ اسم النبي إلى اسمه

إذا قال في الخمس المؤذِّنُ أشهدُ

وشـــقَّ لـه من اسمِـه ليجـلـــه

فذوا العرش محمودٌ وهذا محمدُ أهـ.

واعلم بأن من أوصـــافه صـــلى الله عليه وســـلم أيضـــاً أن الله سـبحانه وتعالى زكاه كله : فزكى الله سـبحانه وتعالى له عقله فقال سـبحانه وتعالى: { ما ضـل صـاحبكم وما غوى } الآية، وزكى لســـانه فقال: { وما ينطق عن الهوى } الآية، وزكى جليســه فقال: {علمه شـديد القوى } الآية، وزكى فؤاده فقال: { ما كذب الفؤاد ما رأى } الآية، وزكى بصره فقال: { ما زاغ البصر وما طغى } الآية، وزكى صدره فقال: { ألم نشرح لك صدرك } الآية، وزكى ذكره فقال: { ورفعنا لك ذكرك } الآية، وزكاه كله فقال: { وإنك لعلى خلقٍ عظيم } الآية، وزكاه من

الكهانة والجنون فقال: { فما أنت بنعمت ربك بكاهنٍ ولا مجنون } الآية، وزكاه من الشعر فقال: { وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون } الآية.

هذا ما تيسر لنا ذكره من بعض صفات سيدنا ونبينا ومعلمنا وقدوتنا محمداً عبدهُ ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي اصطفاه الله رحمة للعالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وسيداً للأولين والآخرين، وفضل أمته على سائر الأمم السابقة فنالت أمته به درجة القرب والسعادة هذا ما تم ذكره لمعرفتي به ولأمثالي وصلى الله وسلم سيدنا على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وآخر دعوانا أنِ الحمدلله رب العالمين .

خاتمة للكتاب

للعلامة المحدث الشيخ السيد/ عبدالله عوض محمد مهدي

تم بحمد لله سبحانه وتعالى وشكره كتابة هذا الكتاب المسمى "طريق الحذاق إلى روضة العشاق" للمؤلف السيد/ أحمد يحيى بن عبدالرحمن الأهدل في ليلة الإثنين شهر ذي الحجة سنة ١٤١٦هـ الموافق عام ١٩٩٥م وتم تقريض المشائخ عليه قبل طبعه للكتاب وأدرج بعض الإضافات والتعديلات على المقدمة وجميع الفصول لزيادة فهم القارئ، وانتهى منها في شهر جمادي الآخرة سنة١٤٤٤هـ وتمت مراجعته لغوياً وتصحيحه من قبل الكثير منهم الأستاذ/ غالب عبدالله غالب السلمي والأستاذ/ فرج ناصر فرج مهدي.. الذين بذلوا فيه جهداً كبيراً وانتهوا منه في شهر ذي الحجة سنة ١٤٤٥هـ الموافق شهر يوليو عام ٢٠٢٤م.

هذا ما تيسر ذكره في خاتمة الكتاب للمؤلف طهر الله قلبه وغفر الله له ذنبه ولوالديه وزوجته وذريته تبعاً عن تبع إلى أخر ذريةٍ ، ولمن له حقٌ عليه ولمشائخه ولمن ساهم في تجهيز الكتاب واخراجه وجميع المسلين والمسلمات

والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وأســـكنهم الله فســـيح جناته ووقانا وإياهم من عذابه برحمته وهو أرحم الراحمين وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين وصـــلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين اللهم آمـــيـــــن

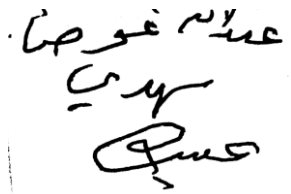

المراجع

١-ظهور الحقائق للشيخ عبدالله العطاس .

٢-الفوائد المكية .

٣-المستخلص في تزكية الأنفس .

٤-حالة أهل الحقيقة مع الله تعالى .

٥-إيضاح أسرار علوم المقربين إلى الله تعالى .

٦-معالم الطريق إلى الله .

٧-إيضاح الهمم شرح الحكم .

٨-تائية السلوك إلى الله .

٩-جامع الأصول .

الفهرس

م	الصفحة رقم	الفصل أو الباب
١	٣	المقدمة
٢	٢٣	المعرفة بالله عز وجل
٣	٣٤	معالجة النفس
٤	٥١	تطهير القلب
٥	٦٥	علامة المحبة لله تعالى
٦	٧١	الطمع بما في أيدي الخلق
٧	٨٠	الإيمان بالله
٨	١٠٢	وجوب العمل بأركان الإيمان
٩	١٠٦	الرضا بقضاء الله وقدره
١٠	١١١	حقيقة الإحسان والإيمان
١١	١١٩	الرياء
١٢	١٢٢	العلم النافع ونتائجه
١٣	١٣٣	الحب في الله والبغض في الله

١٤	١٤٠	الظلم والتهاون بالفرائض والحقوق
١٥	١٤٩	العزلة والمجاهدة
١٦	١٦٠	الذكر وفضائله
١٧	١٧١	حرص الصحابة
١٨	١٨١	صفة الجنة
١٩	١٨٦	فضل أهل البيت النبوي
٢٠	٢١٢	من أوصاف نبينا صلى الله عليه وسلم
٢١	٢١٧	المراجع
٢٢	٢١٨	الفهرس